

# مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العدد الثالث - شوال - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - ديسمبر - فبراير ٢٠٠٣ م



- مسألة مضاعفة الصلوات في المساجد الثلاثة هل تقع في النوافل؟
- محدث الحرمين عمر بن حمدان المحرسي
- المدينة المنورة في عيون الشعراء
- وصف المدينة عام ١٢٣٠هـ لبركهارت
- المجالس الثقافية المعاصرة في المدينة المنورة
- بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة
- ملامح النهضة الصناعية بمنطقة المدينة المنورة



## بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة

### د. نجاح بنت أحمد الظهار

أستاذ البلاغة المشارك بكلية التربية للبنات  
فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة

**تمهيد** لا يوجد دينٌ أو قانون على وجه الأرض ، أكرم المرأة وأعطاهما حقوقها كاملة كدين الإسلام ، فلو تتبنا حياة المرأة عند الأمم قديمها وحديثها ، للمسنا يقيناً العزة والمكانة التي تتمتع بها المرأة المسلمة .

فمن سماحة الإسلام وتكريمه لها ، أنه لم يفرق بين تعليمها وتعليم الرجل فجعل ( طلب العلم فريضة على كل مسلم )<sup>(١)</sup> .

وأدلة تعليم المرأة الكتابة كثيرة في السنة المطهرة ، ورواتها ثقة ، ومن ذلك الحديث الذي رواه الشفاء بنت عبد الله ، حيث قالت : ( دخل علي النبي ﷺ وأنا عند حفصة ، فقال : ألا تُعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة )<sup>(٢)</sup> .

وقد اهتم المصطفى ﷺ بتعليم النساء ، وأولاه عنايته ، حيث سألت النساء النبي ﷺ أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه ، فأجابهن لذلك ( فعن أبي سعيد الخدري قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً يلقهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كان لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة : واثنين ، فقال : واثنين )<sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء ، والحث على العلم : ٤٤/١ رقم الحديث ١٨٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن الشفاء ، انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها : ٣٧٢/٦ ، وصححه الألباني ، انظر ، صحيح الجامع الصغير : ٣٣٢/٢/١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني : ١٢٩/١/١ ، رقم ١٧٨ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم : ٣٥/١ .

ولعل أول امرأة عرفت الكتابة في عصر النبي ﷺ ، هي الشفاء بنت عبد الله ، المهاجرة القرشية العدوية ، ومنها تعلمت حفصة أم المؤمنين الكتابة بإقرار من الرسول ﷺ<sup>(١)</sup> .

والتاريخ الإسلامي شاهد على عناية الإسلام بتعليم المرأة ، فكتب التراجم والسير ، مليئة بأسماء نساء عالمات ، محدثات ، فقيحات ، شاعرات ، أدبيات ، على مر العصور الإسلامية ، وإن كانت العصور الأولى هي أزهى عصور ازدهار المرأة وتعليمها .

وأول مثال على علم المرأة المسلمة ، نراه ماثلاً في زوجات النبي ﷺ وبناته ، فها هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قد اختارها الرسول ﷺ زوجة له ؛ لتكون معلمة لنساء العالمين قاطبة ، فرباها تربية علمية تثبت اهتمام الإسلام بتعليم النساء ، فقال الزهري : ( لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل)<sup>(٢)</sup> .

وذكر العلماء أن الذين حُفِظَتْ عنهم الفتوى من الصحابة ، مائة ونيفاً وثلاثين نفساً ، ما بين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم سبعة ؛ عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

ومن أعلام النساء المسلمات : أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، وحفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرة الأنصارية ، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ، (وفخر النساء) شهدة بنت أحمد بن الفرغ الدينورية .

ومن ربات الفصاحة والبلاغة : أم رعدة القشيرية ، ومعاذة بنت عبد الله العدوية ، ورابعة القيسية ، وأم البنين بنت عبد العزيز ، وعائشة بنت يوسف الباعونية الدمشقية ، وغيرهن كثيرات .

وإذا ما طوينا الزمن وسرنا قدماً ، رأينا أن البلاد الإسلامية في العصور العثمانية المتأخرة قد دخلت في سلسلة طويلة من الحروب الطاحنة في الداخل

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني : ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ .

والخارج ، وعمّ الجهل بالعقائد أرجاء الدولة الإسلامية ، وانتشرت الخرافات والبدع ، وظهر الجهل بالدين واضحاً ، حتى في شبه الجزيرة العربية ، وقد انسحبت هذه الحالة على حياة المرأة ، وترسخت في أذهان الأهالي كثير من الأفكار الخاطئة عن كيفية بناء حياة المرأة والتعامل معها ، وساروا بحسب العادات والتقاليد التي تراكمت من الثقافات الأخرى ، إلى جانب بعض التقاليد العربية الخاطئة .

ولكن لم يمنع كل ذلك من ظهور نساء عالمات في الحجاز كنّ النواة التي سبقت مرحلة الكتاتيب ، ولعله بإمكاننا أن نطلق عليها مرحلة التعليم الأسري أو التعليم الذاتي ، وهي المرحلة التي أخرجت لنا أولى أفواج الفقيهات والخوجات ، اللواتي قمن فيما بعد بالتعليم في الكتاتيب ، حيث كانت الأسر التي تشتهر بالعلم والأدب والثقافة ، وكذا الأسر الحاكمة والغنية ، تعنى بتعليم بناتها بنفسها ، أو عن طريق إحضار معلمات أو معلمين إلى داخل المنزل ، فهذا ما جعلنا لا نعدم وجود نساء عالمات وفقهات قبل بداية القرن الخامس عشر ، فقد اشتهر على مدى ثلاثة قرون نساء عالمات من عائلة الطبري في مكة المكرمة ، وهن : أم سلمة بنت المحب الطبري ، في عهد الشراكة<sup>(١)</sup> ، والثانية هي : مباركة بنت عبد القادر الطبري في العهد العثماني الأول<sup>(٢)</sup> ، والثالثة هي : خديجة الطبرية في العهد العثماني الثاني<sup>(٣)</sup> .

كما اشتهرت امرأة من آل العجيمي ، تُدعى أم الحسين ، وهي معروفة بين الفقهاء<sup>(٤)</sup> .

وكان لقيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر في تعليم المرأة السعودية ، وفي مسيرتها التعليمية ؛ إذ كان الهدف من دعوته هو ترقية العقيدة من الشوائب التي علق بها نتيجة للجهل ، ورد الناس إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، فنادى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بضرورة التعليم ، ومعرفة

(١) تاريخ مكة ، أحمد السباعي : ٣٧٢ .

(٢) المرجع السابق : ٥٣١ .

(٣) المرجع السابق : ٦٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ٥٣٦ .

الناس للقراءة والكتابة ، حتى يحفظوا قرآنهم ، ويفهموا آياته وشرائعه ، فكان للمرأة نصيب وافر من هذا الاهتمام ، حيث دأب الشيخ محمد بن عبد الوهاب يأمر النساء والصبيان بحضور الدروس التي كان يعقدها في المسجد صباحاً ومساءً<sup>(١)</sup> .

كما عني الشيخ محمد عبد الوهاب بتعليم أهل بيته ، فكانت ابنته فاطمة محبة للعلم ، فقد عكفت على الدراسة والتحصيل ، وشغلت به عن حياتها الخاصة ، فلم تتزوج على الرغم من اتصافها بالجمال<sup>(٢)</sup> . وهكذا أخذ تعليم المرأة في المملكة يخطو خطوات واسعة نحو التقدم ، وخاصة في الحجاز ، فقد كانت الكتاتيب النسائية فيه منتشرة بشكل أوسع من المناطق الأخرى ، وخاصة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة .

#### بداية نشأة الكتاتيب في الإسلام :

والكتاتيب جمع كُتَّاب ، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة ، ويعد من المؤسسات التعليمية المهمة ، التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتعليم وثقيف الصغار وتربيتهم تربية إسلامية<sup>(٣)</sup> .

ويمكن أن يطلق على هذا النوع من التعليم (التعليم الأولي) ، لأنه أول درجات التعليم ، وأن أول ما يتعلمه التلميذ يعد من أوليات القراءة والكتابة ، وفك الحروف ، وأوليات الحساب ، والصور الصغيرة من القرآن الكريم .

ولعلَّ أول كُتَّاب في الإسلام ، هو الذي أنشأه المصطفى ﷺ ، حين جعل فدية الأسير من الكفار الذي يعرف القراءة والكتابة في غزوة بدر يقوم بتعليم عشرة من المسلمين الأميين القراءة والكتابة<sup>(٤)</sup> .

وأول كُتَّاب للنساء ، أنشأه - أيضاً - المصطفى ﷺ ، وكان يعرف بدار تعليم النساء<sup>(٥)</sup> .

(١) تاريخ البلاد السعودية ، الدولة السعودية الأولى ، منير العجلاني : ٩٩/١ .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون : ٣٦٤/٥ ، ٣٦٦ ، نساء شهيرات من نجد ، دلال مخلص الحربي : ١١٠- ١١٢ .

(٣) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١١ .

(٤) السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري : ٣٦٨/٢ ، عيون الأثر ابن سيد الناس : ٢٨٦/١ - ٢٨٧ .

(٥) التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ١٣٩ .

ويعد عمر بن الخطاب ، هو أول من نظم الكتاتيب في الإسلام ، وجعلها دوراً رسمية للتعليم ؛ ففي (عهد عمر عند ما كثرت غيبة أرباب الأسر في الجهاد ، وكثر صبيان المسلمين ، سواء من زوجاتهم الحرائر ، أو من السبي الوافد ، وكثير منهم لا يجد من يعلمه ، فأمر عمر باتخاذ كتاتيب في كل حي يغدو إليه الصبيان ، يتعلمون فيه كتاب الله ، ومبادئ القراءة والكتابة ، وجعل للمعلم المتفرغ لذلك أجراً على عمله ، فاستحسن الناس هذا الصنع ، وانتشرت الكتاتيب في أحياء المدينة وضواحيها ، وكان عمر يمر عليها ، وينظر ما فيها من تعليم ، فسره ما رآه فيها ، وكتب إلى الولاة في الأمصار أن يتخذوا الكتاتيب بتعليم أولاد المسلمين ، ويعيّنوا المعلمين ، ويخصصوا لهم الأرزاق المناسبة . وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ التعليم عند المسلمين ، وولدت أول مؤسسة تعليمية حكومية ، وأغرق مركز تعليمي إسلامي للأولاد والبنات على امتداد العصور<sup>(١)</sup> .

ويذكر أن عمر بن الخطاب أمر عامر بن عبد الله الخزاعي بجمع الأولاد في الكتاب وملازمتهم للتعليم ، وفرض له راتباً من بيت مال المسلمين . وقد أمره بالكتابة في اللوح للبليد من الأولاد ، وخصص للتعليم أوقاتاً ؛ إذ جعلها على فترتين ، فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ، ومن صلاة الظهر ، إلى صلاة العصر ، ثم شرع لهم إجازة يومي الخميس والجمعة ، وجعلها للراحة ، فصارت سنة ، وذلك عند ما خرج إلى الشام عام فتحها ، ومكث فيها شهراً ، وعندما رجع إلى المدينة ، وقد استوحش الناس منه ، فخرجوا إلى لقاءه ، فتلقاه الصغار على مسيرة يوم ، وكان ذلك يوم الخميس وباتوا معه ، ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين ، وصارت بعده سنة ، دعا لمن أحيها ، ودعا بالضيق لمن أماتها<sup>(٢)</sup> .

وقد ظلت الكتاتيب من ذلك الوقت تؤدي دورها في محاربة الجهل والامية حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ؛ حيث بدأ يحل محلها في المملكة المدارس النظامية الحكومية .

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر : ٢٧٤/١ .

(٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

## الكتاتيب في المدينة المنورة :

وقبل البدء في الكتابة عن الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة ، أجد أنه من الضروري إعطاء لمحة سريعة عن كتاتيب الرجال ، لأسباب منها :  
إن كتاتيب الرجال هي التي مهدت لظهور الكتاتيب النسائية ؛ فعندما لمس الأهالي ذلك الخير الذي عاد على أبنائهم الذكور ، بدأوا يسمحون لبناتهم بالتعلم ويشجعونهن على ذلك .

والسبب الثاني : إنَّ هناك بعض الكتاتيب الرجالية كانت الفتيات يدرسن بها جنباً إلى جنب مع الفتيان ، ولكن في المراحل العمرية الأولى ، كما أن بعض الكتاتيب النسائية كان يدرس بها بعض الذكور ، فقد ذكر عبد اللطيف بن دهيش ما نصه ( هذا ويجب أن نشير إلى أن بعض الفتيات ، يتم تعليمهن في كتاب الأولاد حتى سن الثامنة فقط ، ثم لا يسمح لهن بمواصلة الدراسة إلا في كتاتيب خاصة بالفتيات)<sup>(١)</sup> .

ولقد كانت مكة المكرمة أكثر المدن في المملكة العربية السعودية اهتماماً بالتعليم ، فقد جاء في أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز الصادر عام ١٣٠١هـ أنه كان بمكة المكرمة عام ١٣٠١هـ ثلاثة وثلاثون كتاباً بها (١١٥٠) طالباً ، وكانت موزعة في جميع أنحاء مكة المكرمة على النحو التالي :

حي الشامية وبه (٦) كتاتيب ، القرارة (٥) كتاتيب ، شعب عامر (٥) كتاتيب ، سوق الليل (٤) كتاتيب ، الشبيكة (٤) ، القشاشية (٣) كتاتيب ، حارة الباب (٣) كتاتيب ، ويوجد كتاب واحد في كل من : النقا السليمانية ، المسفلة ، وجياد . ويظهر ، أن هذا العدد من الكتاتيب ، قد أخذ في الازدياد المستمر ، حتى بلغ في عام ١٣٠٩هـ (٤٣) كتاباً .

غير أن عدد الكتاتيب في مدينة مكة استمر في الازدياد البطيء ، إلى جانب أن بعض تلك الكتاتيب قد اختفى ، وظهرت كتاتيب أخرى غيرها ، وذلك ما بين عام ١٣٩٥ - ١٣٧٣هـ<sup>(٢)</sup> .

(١) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

(٢) المرجع السابق : ١٧ - ١٨ .

أما الكتاتيب في المدينة المنورة ؛ فقد كان بعضها في المسجد النبوي ، وبعضها الآخر في بيوت معلميها في أحياء مختلفة من المدينة ، وقليل منها في الأربطة . وعندما أعيد بناء المسجد النبوي في عهد السلطان عبد المجيد ، خصصت للكتاتيب (٦) غرف في الجهة الشمالية ، وبني فوقها طابق آخر لمكتبة المسجد ، وعين لكل كتاب معلم وعريف ، يأخذان رواتبهما من الخزانة النبوية - ميزانية المسجد النبوي .

فأشهر الكتاتيب وأنظمتها في العهد العثماني هي كتاتيب الحرمين الشريفين التي أنشأها السلطان عبد المجيد ، والسلطان محمود .

وربما كان أول إحصاء رسمي للتعليم في المدينة المنورة ، هو ما نشر في التقويم الرسمي لولاية (سالنامه ولاية الحجاز) فيما بين عامي ١٣٠١هـ - ١٣٠٩هـ ، حيث ذكر فيه :

أن عدد الكتاتيب المجيدية فيما بين عامي ١٣٠١هـ - ١٣٠٩هـ بلغ (١٣) كتاباً ، وعدد المدرسين (١٢) مدرساً ، وعدد العرفاء (١٢) عريفاً ، والتلاميذ ٢٥٠ إلى ٢٦٠ تلميذاً<sup>(١)</sup> .

وقد ذكرت السالنامه هذه الكتاتيب منسوبة إلى شيوخها الذين يعلمون فيها على النحو التالي :

- ١ - كتاب الشيخ مصطفى بن أحمد فقيه ، بدأ التعليم فيه سنة ١٢٧٣هـ أي إثر انتهاء البناء المجيدي مباشرة ، وقد خلف الشيخ مصطفى أخوه إبراهيم .
- ٢ - كتّاب الشيخ مصطفى الزهّار<sup>(٢)</sup> ، بدأ التعليم فيه سنة ١٣٠٠هـ ، وقد خلف الشيخ مصطفى الشيخ محمد التابعي ، ثم الشيخ عبد الفتاح أبو خضر .

(١) تاريخ التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٣ .

(٢) مصطفى الزهّار الذي تشير إليه معظم المصادر هو جد والد الكاتبة إلا أن المشهور في العائلة أن اسمه أحمد الزهّار ، وقد سمى جدي الوالد على اسمه ، وتذكر المصادر أن اسمه مأخوذ عن سالنامه الحجاز ، فعمل هناك لبساً بين اسمه واسم صاحب الكتّاب الأول الشيخ مصطفى فقيه ، أو لعل اسمه كان مركباً وهو أحمد مصطفى ، ولم يذكر جدنا إلا اسمه الأول ، ويعود أصله من مدينة دمياط بمصر ، وقد هاجر منها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وتزوج بامرأة تدعى هديبة من آل صبحي ببدر ، وكان جدي قليل الكلام لم يذكر عن عائلته شيئاً غير أن والده كان فقيهاً بالحرم المدني . وكان جدي قارئاً لكتاب الله ،



- ٣ - كَتَّابُ الشَّيْخِ بِشِيرِ الْمَغْرِبِيِّ ١٣٠٠هـ .
- ٤ - كَتَّابُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الطَّرُودِيِّ ١٣٠٠هـ .
- ٥ - كَتَّابُ الشَّيْخِ أَحْمَدِ الطَّرُودِيِّ
- ٦ - كَتَّابُ الشَّيْخِ عَبِيدِ السَّنَارِيِّ ، وَالشَّيْخِ الْحَافِظِ حَمْدِيِّ أَفْنَدِيِّ ، الَّذِي كَانَ يَعْلَمُ الْخَطَّ ، وَاللِّغَتَيْنِ : التَّرْكِيَّةَ وَالْفَارْسِيَّةَ .
- وكان شيخ كل كَتَّابٍ من هذه الكَتَاتِيْبِ يَتَقَاضَى مَعَاشاً مِنَ الْخَزِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَقْدَارَهُ مَائَتَا قَرَشٍ عَثْمَانِيٍّ ، أَمَّا الْعَرِيفُ فَيَتَقَاضَى : مَائَةَ قَرَشٍ عَثْمَانِيٍّ<sup>(١)</sup>
- ويذكر الشيخ علي بن موسى إمام المالكية بالمسجد النبوي الشريف أنه كان في المدينة أربعة وعشرون كَتَّاباً موزعة كالتالي :
- اثنا عشر كَتَّاباً مخصصة للقراءة في مؤخر الحرم الشريف (باب المجيدي) منها واحد صار في زمن السلطان عبد المجيد (مكتب رشدية) ؛ لتعليم الصبيان الخطوط وسائر اللغات .
- كَتَّابٌ وَاحِدٌ مَخْتَصٌّ بِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ ، وَكَتَّابٌ عِنْدَ بَابِ السَّلَامِ ، وَكَتَّابَانِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَثَمَانِيَّةٌ كَتَاتِيْبٌ موزعة على أحياء المدينة المنورة آنذاك ، وذلك غير مكاتب البنات<sup>(٢)</sup> .
- ويذكر إبراهيم رفعت ، أن في المدينة عام ١٣٠٩هـ (١٨) مكتبة و (١٧) مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية ، و (مكتباً راقياً) و (١٢) مكتباً للصبيان لكل مكتب فقيه وعريف ، وكان عدد التلاميذ بالمكاتب ٣٢٠ تلميذاً وتلامذة المكتب الراقى (٥٥) تلميذاً<sup>(٣)</sup>

ولعل والده قام بتعليمه ، وقد كتب اسم العائلة الظهار بدلاً من الرُّهَّار نتيجة لخطأ كتابي عند بداية إصدار التابيعات السعودية ولم يحفل أحد بتصحيحه بعد ذلك .

(١) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٠ . التاريخ الشامل ، عبد الباسط بدر : ٨٦/٣ - ٨٧ ، الكَتَاتِيْبُ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمَا حَوْلَهُمَا ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٨ . التعليم الأهلي في المدينة المنورة ، دخيل الله عبد الله الحيدري : ٤٩ .

(٢) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٠ . تاريخ المدينة الشامل ، عبد الباسط بدر : ٨٨/٣ . التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٦ .

(٣) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت : ٤١٤ .

في حين ذكر محمد صادق الذي زار المدينة عام (١٣٠٢هـ) أن في المدينة عام ١٣٢٧هـ (١٧) مدرسة<sup>(١)</sup>.

ولقد تحدث الأستاذ جعفر فقيه عن التعليم في المدينة المنورة في بداية القرن العشرين ، فذكر أنه كان فيها أربعة عشر كتّاباً ، ستة منها في المسجد النبوي ، وثمانية خارج المسجد النبوي .

فالكتاب التي كانت موجودة خارج الحرم المدني في أواخر العهد

العثماني هي :

- ١ - كتّاب الشيخ عبد القادر بشير في العنبرية .
- ٢ - كتّاب الشيخ حامد في المرادية بالسيح .
- ٣ - كتّاب الشيخ محمد الغطي في المناخة .
- ٤ - كتّاب الشيخ عبد القادر الشامي في مسجد علي بن أبي طالب .
- ٥ - كتّاب الشريف المغربي في المسحورية .
- ٦ - كتّاب الشيخ جلال إلياس في مسجد السبق .
- ٧ - كتّاب الشيخ محمد خليل في قباء .
- ٨ - كتّاب الشيخ محمد إسحاق التركي في القبلتين<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن معلوم هذه الكتابات وعرفائها يتقاضون رواتب من الخزينة النبوية ، بل كانوا يتقاضون أجوراً محددة من أولياء الأمور<sup>(٣)</sup> .

ويعدد علي بن موسى ثمانية كتابات أخرى خارج الحرم ، لم يذكر

أصحاب معظمها ، وإنما أماكنها ، وهي كالتالي :

- ١ - كتّاب في مسجد القزلاز حافظ بهرام آغا في العنبرية .
- ٢ - كتّاب عند سبيل أبي جيدة .
- ٣ - كتّاب عند المرادية وعضل .

(١) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٢ .

(٢) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧١ . التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط

بدر : ٨٨/٣ . الكتابات في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٨ . تاريخ التعليم في

المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٧ . تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادى : ٣٨/١ .

(٣) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر : ٨٧/٣ .

- ٤ - كُتِّبَ عند مفرق الميري أسسه سليم بك الماينجي .
- ٥ - كُتِّبَ في حوش التاجوري .
- ٦ - كُتِّبَ في بيت الخليفة .
- ٧ - كُتِّبَ عند واجهة المناخة .
- ٨ - كُتِّبَ في زاوية القشاشية .
- ٩ - كُتِّبَ في زقاق النخالة<sup>(١)</sup> .

وذكر الأستاذ عبد الخالق النقشبندي في ترجمته لحياة الشيخ عبد القادر توفيق شلبي ، أنه كان يوجد بالمدينة كُتِّبَ لتعليم القرآن الكريم ، يُعرف بكُتِّبَ مدرسة الكشميري ، ويديره الشيخ عبد العليم الهندي ، وأن الشيخ عبد القادر شلبي وزميله السيد أحمد العربي من جملة تلاميذ ذلك الكُتِّبَ ، ثم انتقلا إلى كُتِّبَ الشريف المغربي<sup>(٢)</sup> .

وبعد هذه الأدلة القاطعة بوجود الكتاتيب في المدينة من بداية القرن الثاني عشر الهجري أو قبله ، يذكر محمد لبيب البتونني أنه : ( . . ليس في المدينة من المدارس ما يستحق الذكر ، والذي يدرس في الحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير)<sup>(٣)</sup> .

في حين أنه ذكر أن في المدينة كتبانات كثيرة ، أحسنها كتبانة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وكتبانة السلطان محمود ، وفي المدينة جريدة اسمها ( المدينة المنورة ) تصدر باللغة التركية من مطبعة البالوزه ، فكيف يتفق قوله بوجود المكتبات الكثيرة ، والصحف ، والمطابع التي هي أكبر مظهر من مظاهر التعليم بعدم وجود مدارس تستحق الذكر في المدينة عام ١٣٢٧هـ ، وقد جاء في سالنامه الحجاز أن بالمدينة عام ١٣٠١هـ (١٢) مدرسة ، وذكرت بعض المصادر أن بها (١٧) مدرسة<sup>(٤)</sup> .

#### كتاتيب البنات في المدينة المنورة :

(١) المرجع السابق : ٨٨/٣ .

(٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٩ .

(٣) الرحلة الحجازية ، محمد لبيب البتونني : ٣٥١ .

(٤) المرجع السابق ص : ٣٤٨ .

يبدو أنه مع ظهور مدارس البنين الأهلية والرسمية في عهد الملك عبد العزيز ، تناقصت الكتاتيب الخاصة بالبنين ؛ لتوافر الفرص التعليمية الحديثة لديهم بينما ازداد عدد الكتاتيب الخاصة للبنات ؛ لتأخر ظهور مدارس الفتيات . ولكننا نلاحظ أنه بمجرد إعلان المدارس الأهلية والحكومية للبنات ، أخذت الكتاتيب تندمج فيها حتى انتهى دورها .

ولعل كتاتيب الفتيات قد انتشرت في المدن الكبرى ، وخاصة في المنطقة الغربية ، وعلى رأسها مكة ، والمدينة ، وجدة .

يذكر بعض الباحثين أن كتاتيب البنات في المدينة المنورة كانت منتشرة حول المسجد النبوي الشريف ، وفي شوارع وأحياء المدينة ، وهي لا تختلف عن مكاتب الصبيان في منهجها ، وطرائق التعليم فيها ، كما أنها محدودة العدد<sup>(١)</sup> ، ومن أشهرها :

١ - كُتَّاب الشَّيْخَةِ فَاطِمَةَ هَانِمِ بِنْتِ يَوْسُفِ الشَّامِيَةِ : وقد أنشأته في عام ١٣٤١هـ ، وكان عدد طالباتها ٩٥ طالبة ، ويقع في الساحة بجوار السلطانية ، وبجوار حوش التكارنة .

وتذكر إحدى الدارسات (زينب عبد رب الرسول) أنه لم يكن كتاباً بل كان مكتباً ، وفرق بين مكتب وكتّاب ، فالكتّاب عبارة عن غرفة صغيرة يجتمع فيها عدد قليل من الفتيات ، ولا يعلم فيه إلا القرآن الكريم ، وبعض أحكام الصلاة .

أما المكتب فهو أكبر من الكُتَّاب ، ويتكون من قاعة كبيرة أو أكثر وعدد الطالبات فيه كثير ، ويدرس فيه القرآن ، والقراءة ، والكتابة ، والإملاء ، والإنشاء ، والفقه ، والتوحيد ، فمناهجه أكثر وأرحب ، ومن هذا النوع كان ما أنشأته فاطمة هانم وفخرية هانم .

ويمتاز هذا الكُتَّاب بقوة الدراسة فيه ، وتعليمه للكتابة والإملاء في

حين كانت كثير من الكتاتيب تمنع ذلك .

(١) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

وتذكر بعض الدارسات فيه ، أنهن كن يدرسن من كُتاب جواهر الأدب ، كما كانت الخوجة فاطمة تعلم الطالبات الخطابة ، وإلقاء القصائد ، بل وتعلمهن نظم القصائد ، وكتابة الشعر .

ويقع كُتاب الخوجة فاطمة في دارها ، التي تمتاز باتساعها في ذلك الوقت ؛ فكانت مكونة من ديوان ، وقاعة بدكتين ، ومقعد كبير ، وحمامين ، وعدد من الأسياب .

وكان الكُتاب يشغل الديوان ، والمقعد الكبير ذي الدكتين ، وفي الوسط فرش حجر ، وتجلس الخوجة في الوسط على الكرويتة - وهو كرسي متسع وعالٍ بعض الشيء - وبعد أن تقوم الطالبات بتشكيل السور القرآنية بأنفسهن ، يعمدن إلى تسميع السور لبعضهن ، ثم يذهبن لتسميعها للخوجة ، وهذا يشبه ما نسميه وننادي به اليوم من التعليم الذاتي .

والمخرجات من هذا الكُتاب يتخرجن وهنَّ متمكنات من الكتابة والقراءة بشكل جيد مع حسن الخط .

والدراسة تبدأ فيه من الصباح ، وحتى بعد صلاة العصر ، وتحضر الطالبات معهن وجبة الغداء ، وفي فترة الظهر تقوم الطالبات بتنظيف الدار ، وتغسيل الدكتين ، والتحضير للغداء والأكل الجماعي .

وعن أدوات الكتابة فيه ؛ فقد كانت مكونة من حبر وقلم ، وأقلام رصاص ، وألواح حجر ، وبعض الدفاتر ، وكانت الطالبات يحملن حقائب ، والمتحدثات عن هذا الكُتاب يتحدثن عنه بكل إعجاب ، وأنه كان كُتاباً راقياً ، تُعَلَّم فيه الخوجة البنات الأدب ، والسلوكيات الفاضلة .

فكان معظم بنات العوائل المدنية يدرسن فيه من أمثال : بدرية عبد ربه ، ومارية جعفرية ، ومارية سمانية ، وآمنة علمية ، وزكية جعفر ، ورتيبة خاشقجي ، وسامية ووداد ومنيرة ونزيهة وزينب عطية ، ورمزية وفوزية نوري ، وصفية أفغاني ، ورقية خياري ، وزينب حمزة عبد رب الرسول .

كما كان الكُتَّاب يضم بعضاً من الذكور أمثال : علي دقاق ، وعبد الباري شاولي وإخوانه .

وعلى يد الخوجة فاطمة تخرجت رائدات الكتاتيب أمثال : شرف علمية ونفيسة نعمانة .

وكانت الخوجة فاطمة الشامية مربية فاضلة ، تمتاز بأخلاقها ، فلم تنتهج طريق القسوة والضرب مع طالباتها ، بل كان التعامل قائماً على التسامح والتفاهم .

والخوجة فاطمة كانت تعيش منفردة ؛ إذ هي أرملة قدمت من الشام بعد وفاة زوجها ، وفتحت الكُتَّاب وأقامت في المدينة حتى توفاهها الله بها ، ولم تعقب أولاداً ، ووهبت حياتها لتعليم بنات جنسها ، غير أنها كانت كثيرة العناية بالأستاذة شرف علمية ، التي كانت شديدة اللصوق بها ، حيث كانت شبه مقيمة لديها تساعدتها في شؤون التعليم .

أما عن السن التي تقبل فيها الطالبات ، فكانت تبدأ منذ الصغر من حوالي ٣ - ٤ سنوات ، وكان يسمح للطالبات باصطحاب أخواتهن الصغيرات والعناية بهن داخل الكُتَّاب ، وكان هناك قسماً للروضة . وعن طريقة تشجيع الطالبات في الكتاتيب ذكرت الدراسات أنه كانت هناك ثلاثة أنواع من الاحتفالات هي : الصرفة ، والصرافة ، والختمة .

والصرفة لمن ابتدأت القراءة وقرأت السور الصغيرة من القرآن مثل ( الفاتحة ) و ( قل هو الله أحد ) ، وكانت تقام في داخل الكُتَّاب ، ويحضر الأهل فيه زهوة حلوة ، أو رمآن موضوعاً في التباسي ويغطى بالورد ، ويقال : إن الصرفة لغير المقتدرين مادياً في أغلبها ، والصرافة لميسورات الحال ، أما الصرافة فكانت تقام للطالبة التي تختم جزء ( عم ) أو أكثر ، والختمة لمن تختم القرآن ولو نظراً .

وعن طريقة الاحتفال ، فقد كانت شبيهة باحتفالات الأفراح حيث تلبس الطالبة ( الطرحة من الجرجيك الطبيعي ) ، وتحمل اللوح بيدها وتقف في الوسط وعلى الجانبين طالبتين ، ويصطف الطالبات ثلاث ثلاث ، وبين

كل صفين تقف طالبة من الكبيرات لضبط الأخرى والانتباه لهن ، والكبيرات كنّ يرتدين العباءات ، وتسير المسيرة حتى يصلن إلى بيت الطالبة ، فتقوم بقراءة القرآن ، ويقوم عدد آخر من الطالبات بقراءة عدد من الآيات ، وإلقاء الخطب ، والقصائد ، وتزف الطالبة المتخرجة بالطبول ، وكذلك يسمح بزف الطالبات المتخرجات سابقاً إذا أراد أهلهن ذلك ، ويلبسن الزيون والتركي ، وتقوم الزفافات بزفهن ، وفي نهاية الحفل يوضع الغداء للنساء ، وربما تكون هناك دعوة للرجال .

إنّ هذا الاحتفال يثبت أن كثيراً من الأهالي كانوا يهتمون ويحرصون على تعليم بناتهم بعكس ما هو مشاع في كثير من الكتب من أنّ الأهالي لم يحفلوا بتعليم بناتهم ، ولكن كان البعض يرفض تعليمهن الكتابة ، أمّا القرآن وعلوم الدين فكانوا لا يمانعون في ذلك .

جاء في كتاب تطور التعليم في المملكة : ( وإنّ عدد كتاتيب البنات في المدينة تقل عن كتاتيب الذكور كثيراً ، فلم يكن تعليم البنات عند معظم بيوتات المدينة ذا أهمية )<sup>(١)</sup>

وهذا القول خلاف ما ظهر للباحثة ، فقد كانت المدينة مليئة بكتاتيب البنات ، ففي كل حارة كان أكثر من كتّاب<sup>(٢)</sup>

٢ - كتّاب الخوجة فخرية هانم : ويقع الكتّاب في الشونة<sup>(٣)</sup> ، وعدد طالباتها ١٢٠ طالبة<sup>(٤)</sup> ، وقيل ٢٠٠ طالبة<sup>(٥)</sup> .

وهي امرأة قدمت من تركيا ، ولم يُعرف لها زوج أو أولاد ، وكانت تذهب في إجازات الصيف إلى تركيا ، وتتوب عنها : نائلة عطاسة ، وقد

(١) تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادي : ٤٩ .

(٢) مشافهة السيدة زينب حمزة عبد رب الرسول إحدى الدارسات بتاريخ الاثنين ٢١ ، والثلاثاء : ١١/٢٢/١٤٢٢ هـ ، محادثة آمنة أحمد علمي بتاريخ : الثلاثاء : ١١/٢٢/١٤٢٢ هـ ، إحدى الدارسات وصفية عثمان حلمي ، بتاريخ الجمعة : ١١/١٨ ، الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢ هـ ، وهي صاحبة كتّاب .

(٣) الكتاتيب في الحرمين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٤١ .

(٤) التعليم في المدينة المنورة ناجي الأنصاري : ٥٧٩ .

(٥) صور من الحياة الاجتماعية ، ياسين خيارى : ١٢٢ ، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان : ٢٧٤ .

كانت مساعدة لها ، كما كانت الطالبات المتخرجات يساعدها بأن يحضرن كل يوم سبت ، ويقمن بالمراجعة للطالبات ، وعقد الاختبارات لهن ، ومن أولئك : سنية محسن بري ، فائزة حمزة بدوي ، وداد محمود نعمان . وكانت الطالبات ينادين عليهن بلفظ : (أبلة) .

هذا في مرحلة تطور الكُتّاب إلى مدرسة شبه نظامية ، حيث أصبحت الدراسة فيه إلى الصف السادس الابتدائي ، إلا أن جميع الصفوف كانت تضمها قاعة واحدة .

وتعطى الطالبات شهادات مصدقة من وزير المعارف في ذلك الوقت (الملك فهد بن عبد العزيز) .

أمّا عن المواد فلم تعد قاصرة على القرآن والتجويد ، بل تنوعت إلى قرآن وتجويد ، مطالعة ، تاريخ ، حساب ، الإنشاء العصرية ، حسن سيرة ، تهذيب وأخلاق ، حسن خط ، علوم وصحة ، والدراسة أصبحت على السبورة ، والدفاتر ، وكانت الطالبات تحملن الشنط .

ولكن ظلت الطالبات ينادين (المعلمة) بالخوجة ، فلم يتغير مسماهما مع تطور الكُتّاب .

وكان لدى الخوجة فخرية جارية مغربية تسمى (سلمى) تقوم على خدمتها ، إلى جانب قيامها بأمر المبيعات للطالبات من حلوى وبسكوتات ، وكانت تبيع عليهن البليلة يوم السبت فقط - وهذا ما نسميه اليوم بالمقصف - والجارية سلمى مازالت على قيد الحياة .

وكانت الخوجة تحمل في يدها خيزراناً طويلة ، وتستخدم الفلكة لعقاب الطالبات .

وكانت الطالبات المتخرجات من لدى فخرية هانم يكملن دراستهن - حسب الرغبة - بتعلم فنون الخياطة والتطريز لدى ملكة فضل إلهي في الشونة ، بجوار فخرية هانم<sup>(١)</sup> .

(١) مقابلة بعض الدارسات ، منهن عيشة نعمان ، ومرضية نعمان يوم الاثنين ٢٨/١١/١٤٢٢هـ .



ويعد كُتَّاب فاطمة هانم ، وفخرية هانم من أقدم الكتاتيب ، وقد تخرج منهما عدد من الفتيات ، فمن بدروهن بافتتاح كتاتيب أخرى مثل :

٣ - كُتَّاب الخوجة شرف علمية ( علمي ) : وهي شرف أحمد العلمي ، درست على يد الخوجة فاطمة هانم الشامية ، وكانت شرف علمية تمتاز بذكائها وحبها للعلم ، ومهارتها في إلقاء القصائد ونظم الشعر ، إلى جانب امتلاكها صوتاً رخيماً جميلاً ، مما جعل لها مكانة خاصة لدى معلمتها فأثرت بها ، وأخذت تهتم بها اهتماماً خاصاً ، لما رأت عليها من علامات النجابة ، حتى أنها جعلتها تلازمها ليل نهار وتقوم بمساعدتها في التدريس ، وترافقها في الزيارات الرسمية مثل الصرافة والختمة والدعوات الخاصة ، وكانت لهذه الملازمة أثرها في تكوين شخصية الخوجة شرف علمية التي فتحت فيما بعد كُتَّاباً بعد وفاة معلمتها ، كان بداية في سيدنا مالك ، في حوش المرزوقي ، عند سقيفة الرصاص ، في بيت حسن دفتر دار ، ثم انتقلت إلى الساحة . وكانت تنوب عنها وتساعدتها أختها آمنة علمية .

ولقد دفعها طموحها إلى تطوير كُتَّابها ، وجعلته مدرسة شبه منظمة أطلقت عليها اسم : ( المقاصد الإسلامية ) ، وكانت في الرومية بجوار الحرم ، في بيت الدكتور حبيب الرحمن ، حيث استأجرت منه الدور الأرضي .

وكانت الطالبات يدرسن لديها حتى الصف السادس الابتدائي ، ومناهجهن وفق مناهج وزارة المعارف ، وكانت تساعدتها في التدريس خيرية الزهاوي ، ومدرسة سوريّة تدعى يسرى ، وأخرى تُدعى إلهام ، وبعد افتتاح المدارس الحكومية انضمت مدرستها إلى المدارس الحكومية ، وعُينت الأستاذة شرف مديرة للمدرسة الابتدائية السادسة .

ورغبة منها في تطوير تعليم الفتاة ، ذهبت شخصياً إلى الملك فيصل بالرياض وطلبت منه فتح مدرسة متوسطة ، وأبدت استعدادها لأن تكون مديرة للمدرستين في آن واحد ، فوافق - رحمه الله - على طلبها ، وقامت هي بفتح المدرستين في قباء ، في بيت حمزة عجاج ، ويشهد لها

الكثيرات من أهل المدينة ممن درس بناتهن في مدرستها بأنها كانت ذات شخصية قوية ، إلى جانب محافظتها على نظافة ونظام المدرسة ، فكانت تعمل في المدرسة ليل نهار ، وكأنها بيتها الخاص . وقد تخرج على يدها أجيال من النساء كثيرات لا يمكن حصرهن ، وقد تقلدن اليوم مناصب عالية ؛ فمنهن الدكتوروات الأكاديميات ، والطبيبات ، والموجهات والمعلمات ، والأديبات .

ومنهن على سبيل المثال : عيشة الوقيصي ، فائزة جعفر ، إحسان جعفر ، سامية حكيم ، حياة حكيم .

أما عن حياة الأستاذة شرف الخاصة ، فهي قد تربت يتيمة الأب ، غير أن والدتها - رحمها الله - جعلتها تطرق أبواب العلم ، وتهل منه على يد معلمتها التي أحببتها وآثرتها ، وقد أحببت من خلال تلك الرعاية طريق العلم ، وشغلت به عن الزواج ، فلم تتزوج ، وكانت كريمة سخية تفعل الخير في خفاء ، فقد كانت تعول فتيات فقيرات يتيمات في كتابها السابق ، ومدرستها ، وعند وفاتها حزنٌ عليها حزناً شديداً ، وذكرن أن والدهن اليوم قد مات .

وتذكر أختها - آمنة - قصة عن عطفها ، وحنانها ، وإحساسها الصادق بآلام الغير ، بأن سيدة اتصلت بها تشكو عدم صلاحية بيتهم للسكنى ، وهي أم لبنات يتيمات ، والبيت آيل للسقوط في أي لحظة ، فقامت من توها واستأجرت لهن شقة ، فما أن حلَّ المساء إلا وكانت المرأة وبناتها قد انتقلن إلى المنزل الجديد ، وفي ذات الليلة سقط البيت القديم ، ولكن بعد أن خرجت الأم وبناتها على يد الأستاذة شرف علمية - رحمها الله -<sup>(١)</sup>

(١) محادثة أختها - آمنة علمية - الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٢ هـ ، الأحد : ١٤٢٢/١١/٢٧ هـ ، محادثة عائشة الوقيصي ، الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٩ هـ ، وهي إحدى الدارسات .

- وللأستاذة شرف مؤلفات مطبوعة منها : صدى نفسي ، كتبت فيه حياتها وكفاحها كاملة ، وبعض أشعارها ، ولكنني لم أستطع الاطلاع عليه ؛ لعدم وجوده عند عائلتها ، وعدم تمكنهم من الحصول على نسخة منه .
- وقد كُرِّمت من نادي المدينة الأدبي بتاريخ : ١٣/٣/٤٢١هـ .
- ٤ - كُتِّب الخوجة زينب مغربلية : وهي زينب حسن عبد الله مغربل ، زوجة الشيخ طه محمود مغربل ، فتحت الكُتِّب في عام ١٣٦٢هـ .
- وقد وجد بخط يدها ما يفيد أنها درست على يد الخوجة فخرية هانم القراءة والكتابة ، وأجزاء من القرآن الكريم ، وكان يُعرف اسم هذا الكُتِّب باسم : كُتِّب الفوز والنجاح ، وبعد انتقال الخوجة فخرية إلى مكة المكرمة ، قررت السيدة زينب حسن مغربل فتح كُتِّب في المدينة يحمل اسم : مدرسة الفوز والنجاح وهي مدرسة أهلية تحت إشراف مديرية المعارف ، وذلك عام ١٣٦٢هـ ، ولكن ظلت المدرسة تُعرف بكُتِّب المغربلية ، وكان يقع في العنبرية ، مقابل مبنى إدارة المالية سابقاً ، وبلغ في إحدى السنوات عدد تلميذاته (١٠٠) تلميذة .
- وعندما رغبت في العمل في المدارس الحكومية ، عُينت عام ١٣٨٢هـ في المدرسة الأولى الابتدائية للبنات في المدينة مراقبة فيها ، واستمرت في العمل التربوي حتى أُحيلت على التقاعد عام ١٤٠٥هـ .
- ومن أبرز مآثرها : تأسيسها كُتِّب الفوز والنجاح ، الذي عُرف بكُتِّب المغربلية .
- تخرجها لعديد من الطالبات اللواتي عرفن بالجد ، والاجتهاد ، والصلاح ، وأصبحن مديرات ومعلمات في مدارس البنات ، وربات بيوت ناجحات .
- نالت شهادة تقدير من مديرية التعليم للبنات بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ تقديراً لجهودها وخدماتها .
- كما قام النادي الأدبي بتكريمها عام ( ١٤٢١/٣/٣١هـ ) .
- والسيدة زينب مغربلية عقببت ثلاثة أولاد ، وأربع بنات ، هم :
- المهندس حسن طه مغربل ، نائب أمين منطقة مدينة جدة للشؤون الفنية سابقاً .

- الدكتور فؤاد طه مغريل ، الفنان التشكيلي المعروف .
- المهندس سمير مغريل .
- الأستاذة راوية ، مديرة المتوسطة السادسة سابقاً - والآن متقاعدة - وهي خريجة جامعة أم القرى .
- الأستاذة سلوى ، خريجة جامعة الملك عبد العزيز بجدة قسم علم اجتماع ، وتحمل دبلوم من كلية التربية بالمدينة المنورة ، متقاعدة من عشر سنوات .
- الأستاذة سميرة ، بكالوريوس إدارة عامة .
- الأستاذة نبيلة ، ثانوية عامة<sup>(١)</sup> .

وعن كُتَّاب المغربلية يقول الدكتور عاصم حمدان : (.. أنشأت السيدة زينب مغريل - رحمها الله - كُتَّابها في العنبرية ، ولقد كان الكُتَّاب يعنى بتعليم القراءة السليمة لكتاب الله الحكيم ، وكان التركيز شديداً على مادة الإنشاء أو التعبير ، كما أن فترة الدراسة تمتد أحياناً إلى وقت العصر)<sup>(٢)</sup>

- ٥ - كُتَّاب الخوجة أم نعيم البخارية : وهي عنبرة سمرقندي بخارية الأصل ، فتحت كتابها بداية في وقف سلطان في حي باب المجيدي ، مقابل باب البصري ، ومكثت تدرس فيه قرابة (٢٢) سنة ، وهي على شرط الواقف بأن لا تأخذ أجراً على تعليمها ، وأن يكون مجانياً لوجه الله تعالى فمنها التعليم ، وعلى الواقف المكان .
- وكانت تساعدها في التدريس شهيرة بريّة ، كما كانت تساعدها صفية حلمي ، وكان عدد طالباتها في ذلك الوقت ما يقرب من (١٠٠) طالبة ، ومن خلال اهتمام الملك عبد العزيز وسعود بالتعليم النسائي ، كانت تصرف لها معونة من الدولة تقدر ب (٢٠٠) ريال .

(١) مقابلة ومشاهدة ابنتها سلوى مغريل بتاريخ الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ .

(٢) صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان : ٢٧٤ .

ومن طالباتها: بنات الرفاعي ، وبنات جمل الليل ، وبنات عبد الرحمن طه ، وبنات الوقيصي ، وبنات محمد نور كتيبي ، وبنات أبو الجود ، وبنات أخو الشيخ عبد العزيز بن صالح ، وفريدة الخريجي ، وغيرهن كثيرات . ثم اختلفت مع شرط الواقف ، وتركت كتّابها في وقف سلطان ، وفتحت كتّاباً خاصاً بها في باب المجيدي خلف بيت سعيد دفتردار ، وقامت بالتدريس في موقع الكتّاب الأول صفية حلمي حفيدة الواقف - وسيأتي الحديث عنها -<sup>(١)</sup> .

وذكر علي حافظ أن كتّابها ، يطلق عليه : مدرسة الهداية الإسلامية أسستها حوالي سنة ١٣٦٦هـ ، باب المجيدي<sup>(٢)</sup> .

٦ - كتّاب بتول الهوسة : وهي بتول بنت الشيخ أحمد ، وزوجة الشيخ بكر زكريا ، كان كتّابها في حوش النورة ، وقد خلفت أمها في هذا الكتّاب ، وأمها كانت تدعى : الفقيهه بتول التكرونية ، ثم انتقلت الفقيهه بتول إلى ضروان ، وقد درست على يد والدها الشيخ بكر زكريا ، وعلى يد والدتها . ولقد واصلت دراستها حتى أخذت الابتدائية ، ثم توظفت في المدارس الحكومية هي وشرف علمية ونفيسة نعمانة .

لها من الأولاد عبد الرحمن ، عبد الوهاب ، عبد الرحيم ، محمد نور . ومن البنات : رحمة ، خديجة ، أمينة<sup>(٣)</sup>

وفي تقرير شيخ طائفة الفقهاء والقراء بالمدينة المنورة الذي رفعه إلى معتمد المعارف بتاريخ : ١٦/١٠/١٣٥٦هـ ، ذكر أن عدد الكتاتيب بالمدينة آنذاك ستة كتاتيب هي :

- ١ - كتّاب الشيخة فخرية ٢٠٠ تلميذة .
- ٢ - كتّاب الشيخة فاطمة هانم ١٧٠ تلميذة . ويطلق عليها أيضاً (فاطمة الشامية) .

(١) محادثة صفية حلمي الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢هـ . مساعدتها في الكتّاب ، ثم أصبحت مكانها في الكتّاب .

(٢) فصول من تاريخ المدينة ، علي حافظ : ٢٤٣ .

(٣) مشافهة قريبتها : صفية عمر أيوب يوم الأحد : ١٠/٢٩/١٤٢٢هـ ، والجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢هـ .

- ٣ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زَهْرَةُ السَّنَارِيَّةِ ٥٠ تَلْمِيذَةً .
- ٤ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ خَلِيلٍ ٤٠ تَلْمِيذَةً . يَقَعُ فِي حَارَةِ الْأَغْوَاتِ .
- ٥ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَى بِنْتُ الْحَاجِّ سَلِيمٍ ٢٦ تَلْمِيذَةً .
- ٦ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ أَمِينَةَ ١٥ تَلْمِيذَةً .
- فَكَانَ مَجْمُوعُ الدَّارَسَاتِ فِي هَذِهِ الْكُتَاتِيْبِ (٥٠١) تَلْمِيذَةً<sup>(١)</sup> وَهَنَّاكَ كُتَاتِيْبٍ أُخْرَى لَمْ تَرُدْ فِي هَذَا التَّقْرِيرِ مِنْهَا :
- ١ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ التَّرْكِيَّةُ (مَعْمَرَةٌ) ، وَكَانَ فِي بَابِ (بَصْرِي) .
- ٢ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَةُ بِنْتُ مَبَارَكٍ ، وَكَانَ فِي حَوْشِ الرَّاعِي .
- ٣ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عَائِشَةُ بَنَانِيَّةٌ ، وَكَانَ فِي السَّاحَةِ ، حَوْشِ التَّكَارُنَةِ .
- ٤ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ خَدِيْجَةُ النَّظِيْفَةِ ، وَكَانَ فِي حَوْشِ التَّاجُورِيِّ .
- ٥ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَابِدٍ ، وَكَانَ فِي الْجَدِيْدَةِ .
- ٦ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ التَّكْرُونِيَّةِ ، وَكَانَ فِي بَابِ الْمَجِيْدِيِّ ، رِبَاطِ عَزْتِ بَاشَا .
- ٧ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زَوْجَةُ الشَّيْخِ الشَّامِيِّ ، وَكَانَ فِي زَقَاقِ الْعَاصِي ، فِي الْقَشَاشِيِّ .
- ٨ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عَابِدَةٌ ، وَكَانَ فِي بَابِ الْمَجِيْدِيِّ ، بِجَوَارِ بَيْتِ الشَّاعِرِ . وَكَمَا اشْتَهَرَ فِي الْمَدِيْنَةِ عِدَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ لِكُتَابِ اللَّهِ وَالْحَافِظِيْنَ لَهُ ، كَذَلِكَ اشْتَهَرَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ الْقَارِئَاتِ وَالْحَافِظَاتِ لِكُتَابِ اللَّهِ مِنْهُنَّ :
- ١ - الشَّيْخَةُ فَخْرِيَّةُ هَاشِمِ التَّرْكِيَّةِ .
- ٢ - الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ خَلِيْلِ التَّكْرُونِيَّةِ .
- ٣ - الشَّيْخَةُ شَرْفُ عِلْمِيَّةٌ ، أَوْ شَرْفُ الْعِلْمِيِّ .
- ٤ - الشَّيْخَةُ زَيْنَبُ الْمَغْرِبِيَّةِ .
- ٥ - الشَّيْخَةُ التَّرْكِيَّةُ بِيَابَا بَصْرِي ، وَغَيْرُهُنَّ<sup>(١)</sup> .

(١) تطوّر التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادى وآخرون ، ج : ٤٩ .

- ومن المعلومات التي حصلت عليها الباحثة عن الكتاتيب النسائية في المدينة ،  
أنّ هناك عدداً منها لم تذكرها المصادر مثل :
- ١ - كتّاب الشيخة رقية بنت الشيخ خليل ، وهي أخت فاطمة بنت الشيخ خليل التي تذكرها المصادر ، غير أنّ رقية أقدم منها في مهنة التدريس في الكتاتيب ، ويقع كتّاب الشيخة رقية في حارة الأغوات . وكانت فقيهة تقوم بتدريس البنات كتاب الموطأ لابن مالك مع تحفيظهن أجزاء منه ، وهو من أقدم الكتاتيب<sup>(١)</sup>
  - ٢ - كتّاب الفقيهة مريم بنت الشيخ ألفا هاشم ، وقد درست على يد الفقيهة أمينة . ووالدها هو الشيخ ألفا هاشم من كبار العلماء في المدينة في ذلك الوقت ، وكان كتابها من أقدم الكتاتيب .
  - ٣ - كتّاب الشيخة زينب كنقي ، فتحت كتّابها في بداية الأمر في زقاق الطوال في الساحة ثم في زقاق الشجرية ، ثم انتقلت إلى زقاق الضروان ، وبعد وفاتها ذهبت الدارسات إلى كتّاب فاطمة بنت الشيخ خليل ، وهو أيضاً من أقدم الكتاتيب .
  - ٤ - كتّاب فاطمة هانم التركية ، ويقع كتّابها في باب المجيدي .
  - ٥ - كتّاب الشيخة حوا إبراهيم ، ويقع في زقاق البارود بجوار رباط السنانير بالقرب من الحرم .
  - ٦ - كتّاب الشيخة آمنة حامد ، زوجة عثمان عبد القادر ، وقد درست على يد الشيخة فاطمة بنت الشيخ خليل ، وكذلك على يد زينب كنقي ، ويقع كتّاب الشيخة آمنة في زقاق الطيار ، ثم انتقلت إلى باب المجيدي ، ثم إلى الدخل المحدود ، وهي ما تزال على قيد الحياة ، وقد التحقت بمدارس تحفيظ القرآن لتعلم التجويد ، والآن تقوم بالتدريس في الحرم النبوي الشريف .
  - ٧ - كتّاب الشيخة نفيسة نعمانة : ويقع كتابها في الساحة درست عند الخوجة هانم ، وهي ما تزال على قيد الحياة .

(١) صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ، ياسين أحمد خياري : ١١١ ، تعليم المرأة في المملكة خلال مائة عام : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) مشافهة عائشة يوسف أحمد علي الأحد : ١٠/٢٩/١٤٢٢هـ ، الجمعة : ١١/١٨/١٤٢٢هـ ، وهي إحدى الدارسات .

- ٨ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ فَاطِمَةَ بَكْرَ مُحَمَّدَ بَرْنَائِي ، وَقَدْ دَرَسَتْ عَلَى يَدِ وَالِدِهَا الَّذِي دَرَّسَهَا الْقُرْآنَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالتَّوْحِيدَ ، وَمِبَادِيِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْأَلْوَاحِ وَكَانَ وَالِدُهَا يَمْلِكُ كِتَابًا لِتَدْرِيسِ الْأَوْلَادِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ كِتَابًا خَاصًّا بِهَا . وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي حَارَةِ الْأَغْوَاتِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى حَارَةِ الْبِرْغَوْتِيَّةِ فِي بَابِ الْمَجِيدِيِّ ، وَأَخِيرًا عِنْدَ مَسْجِدِ الْإِجَابَةِ . تُوَفِّيَتْ سَنَةَ ١٣١٩ هـ ، وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ ٨٠ عَامًا تَقْرِيْبًا ، وَلَمْ تَعْقُبْ أَوْلَادًا<sup>(١)</sup>
- ٩ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ زَيْنَبَ بَكْرَ بَرْنَائِي : وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي زَقَاقِ الْحَبْسِ ، وَفَتَحْتَهُ فِي حَوَالِي ١٣٤٠ هـ ، وَقَدْ دَرَسَتْ عِنْدَ الشَّيْخَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الشَّيْخِ خَلِيلِ .
- ١٠ - كَتَّابُ صَدِيقَةِ التَّرْكِيَّةِ ، اسْتَأْجَرَ لَهَا آلَ عَوِيضَةَ بَيْتًا فِي الْجَدِيدَةِ أَوْ التَّاجُورِيِّ لِتَعْلِيمِ الْفَتَيَاتِ مَجَانًا .
- ١١ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ أَمِينَةَ عَبْدِ اللَّهِ : وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي بَابِ التَّمَارِ وَهِيَ مَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ .
- ١٢ - كَتَّابُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ( عَيْشَةُ إِبْرَاهِيمَ ) : وَكَانَ مَوْقِعُ الْكِتَابِ فِي بَابِ الرَّحْمَةِ بِجَوَارِ بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيفِ ، وَبِنَاتِهَا سَعَادَ وَأَسْمَاءَ مَوْجِهَاتٍ ، وَكَانَتْ تَعْلَمُ الْقُرْآنَ ، وَالْقِرَاءَةَ ، وَالْكِتَابَةَ ، وَشَغَلَتْ الْإِبْرَةَ .
- ١٣ - كَتَّابُ صَفِيَّةِ عُمَرَ أَيُّوبَ : افْتَتَحَتْ كِتَابُهَا قَبْلَ الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ بِسَنَتَيْنِ تَقْرِيْبًا أَيَّ عَامِ ١٣٧٨ هـ ، وَكَانَ بَدَايَةَ فِي زَقَاقِ الطَّيَّارِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى حَارَةِ التَّمَارِ فِي مَنَازِلِ نَزِيهِ سَيِّدٍ ، دَرَسَتْ عَلَى يَدِ الْفَقِيْهَةِ فَاطِمَةَ بَكْرَ وَعَيْشَةَ بَنَانِيَّةٍ ، بَدَأَتْ التَّدْرِيسَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ السِّنِّ ، وَلَكِنْ كَانَتْ شَخْصِيَّتَهَا قَوِيَّةً مَكْنَتَهَا مِنْ ضَبْطِ الطَّالِبَاتِ .
- وَكَانَتْ تَقُومُ بِتَدْرِيسِ الْبَنَاتِ وَالْأَوْلَادِ مَعًا ، وَمَنَاهِجَ الدِّرَاسَةِ عِنْدَهَا : الْقُرْآنَ ، وَالتَّوْحِيدَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالْحِسَابَ ، وَتَعْلِيمَ الْخِيَاطَةِ ، وَالتَّدْبِيرَ الْمَنْزَلِيَّ . وَاسْتَمَرَّ كِتَابُهَا حَتَّى بَعْدَ افْتِتَاحِ الْمَدَارِسِ ، فَكَانَتْ الطَّالِبَاتُ اللَّوَاتِي يَتَخَرَّجْنَ مِنْ عِنْدِهَا يَذْهَبْنَ إِلَى الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ ، وَيَدْخُلْنَ امْتِحَانَ

(١) مشافهة ابنة أختها عيشة سعيد بتاريخ الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٩ هـ .



مستوى ، ثم يدرسن في المرحلة المناسبة لتعليمهن ، وكانت الطالبات ينادينها بلقب أستاذة وأبلة ، كما فتحت مدرسة لمحو الأمية في أبيار علي .  
وقد واصلت دراستها وتعليمها ، حتى نالت شهادة الابتدائية من المدارس الحكومية .

وممن درسن على يدها بنات عبد الفتاح ، وبنات الدمقرشاوي كما درّست بنات النعمان منازل .

ومن الصبيان : عبد المنعم وعبد الله جميل كردي ، وإبراهيم فلاته كان عدد الدارسين والدارسات يبلغ (٤٠) طالباً وطالبة تقريباً .  
وهي مازالت على قيد الحياة ، وتبلغ من العمر (٥٦) عاماً ، وقد تزوجت معاذ السقا . وأولادها منه : خالد ، وعبد الفتاح ، وعبد الوهاب . ثم تزوجت بكر صحابي وخلفت منه : وداد ، وجميلة .

وتذكر أنها شاهدت مدرسة فتحت قبل المدارس الحكومية كانت تعرف بمدرسة بنات أبو عوف في الساحة ، وهنّ أربع فتيات قُدمن من الشام<sup>(١)</sup>

١٤ - كُتّاب الفقيهه عيشة حمزة هوساوي زوجة محمد عمر أيوب ، ويقع في العنبرية في حوش أبو دراع ، وكانت تعلم القرآن ، والقراءة ، والكتابة وعندما افتتحت المدارس الحكومية عملت بها .

١٥ - كُتّاب الخوجة صفية عثمان حلمي : كان يقع في وقف سلطان ، في حي باب المجيدي ، ثم توقف أربع سنوات ، وهو الآن في العوالي في وقف سلطان مرزا نياز وهو جد الخوجة صفية لأمها ، وكانت بداية تعلم مع أم نعيم البخارية التي كانت تدرّس في نفس الوقف وقد اشترط عليها أن تقوم بالتدريس مجاناً للبنات بدون أخذ مقابل منهن ، وهذا شرط الواقف . وبعد أن استقلت أم نعيم بكُتّاب لها أخذت الخوجة صفية تمارس التدريس ، وقد دخلت مجال التدريس وعمرها (١٢) سنة ، وممن ساعدت في تدريبهن مع أم نعيم بنات الوقصي ، وبنات حوالة ، وبنات عبد العزيز الخريجي ، وبنات أبو الجود وبنات محمد نور كتيبي .

(١) محادثة صفية عمر أيوب ، الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢ هـ ، الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢ هـ .

وقد ساعدتها خالتها فاطمة سلطان في فترة من الفترات ، ثم مرضت وتوقفت عن مساعدتها .

وقد كانت الخوجة صفية تقوم بتدريس البنات إلى جانب القرآن ، الحساب والخط ، وتذكر أن طالباتها كنَّ يبلغن في فترة من الفترات ١٢٠ - ١٥٠ طالبة .

وقد تعلمت الخوجة صفية على يد والدها الفاضل الشيخ عثمان حلمي أفندي ، الذي كان مدرساً في المحمدية ، والنجاح ، والناصرية ، وأخيراً في الفهدية وهو تركي الأصل .

والخوجة صفية ما تزال على قيد الحياة ، وما زال كتَّابها مفتوحاً في العوالي حتى كتابة البحث ، فهي تستقبل النساء والأطفال ، خاصة من غير العرب من الأتراك ، والأفغان ، والبخارية ، وتعلمهم من الصباح حتى ما قبل الظهر عملاً بوصية الجد الذي أوقف جزءاً من الدار على تعليم القرآن مدى الحياة . وهي لم تتزوج حباً في العلم والتدريس .

وتذكر أن عمر الكتَّاب يصل إلى ما يقرب من ٦٢ عاماً أو أكثر<sup>(١)</sup>

كما أضافت من معلوماتها أن هناك عدداً من الكتاتيب القديمة منها :

- ١ - كتَّاب فاطمة هانم بنت محمد أمين الأرنؤوطي ، وهي يوغسلافية الأصل مشهورة عند أهل المدينة بفاطمة هانم التركية ، تزوجت رجلاً سورياً ، ولم تعقب أولاداً ، افتتحت كتَّابها في بداية الأمر في زقاق الحبس ، ثم انتقلت في باب المجيدي في آخر الدرويشية بجوار بيت أحمد حوالة .
- ٢ - كتَّاب فاطمة هانم زوجة إسحاق أفندي ، وهي ممن تلقين معونة من الملك سعود قدرها (٢٠٠) ريال في الشهر لتطویر كتَّابها ، وتقديراً لجهودها<sup>(٢)</sup>
- ٣ - كتَّاب الشيخة حوا محمد ، ويقع في دار الضيافة ، وقد تخرجت من كتَّاب الفقيهه زهرة ، وكانت تدرّس القرآن فقط .

(١) مشافهة الخوجة صفية في الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ ، الجمعة : ٢٥/١١/١٤٢٢ هـ .

(٢) المرجع السابق

- ٤ - كتاب هدى حلا حلا يقع في زقاق العاصي ، شارع محروس كانت تركز على شغل الأبرة مع القرآن .
- ٥ - كتاب حفصة حبأكة زوجة الخسنة ، ويقع في السيح في دكة الترجمان وكانت تعلم القرآن مع التركيز على شغل الأبرة .
- ٦ - كتاب شريفة البخارية زوجة عبد العزيز التويجري ، ويقع في الساحة وكانت تهتم مع تدريس القرآن بتدريس الخياطة والأشغال اليدوية .
- ٧ - كتاب محبوبية البخارية ، وهي أخت شريفة سابقة الذكر ، وقد درست البنات الخياطة والقرآن . وعندما فتحت مدارس محو الأمية درّست بها القرآن الكريم .
- ٨ - كتاب الخوجة ( أم آمنة ) في بيت أبو عزة في باب المجيدي
- ٩ - كتاب الصالحية : لصاحبه الخوجة سالحة عمر عثمان فاضل مخدوم التركستاني ، زوجة الشيخ صلاح الدين شمس الدين تركستاني ، وهي من عائلة كثر في أفرادها العلماء في بلاد بخارى ، فأبوها عمر عثمان فاضل عالم جاء إلى المدينة ، ومكث فيها يعلم ويتعلم ، وكان في فترة من الفترات يقيم الأذان في الحرم المدني ، وزوجها صلاح الدين عالم أيضاً ، وقد جاءت من بخارى ، وهي تجيد العربية قراءة وكتابة وتحديثاً بالفصحى ، مع درايتها بالفقه والتوحيد والحديث ، خاصة ما يتعلق بأحكام العبادات وأحكام المرأة .
- كانت بداية افتتاح الكتاب في مكة المكرمة في الجبل ، فتحته عشرة أشهر تقريباً ، وكان مكوناً من غرفتين وحوش ، ثم انتقلت إلى المدينة وفتحت الكتاب في شارع الجنان في باب المجيدي ، وكان بجواره كتاب الخوجة فاطمة التركية ، وكان افتتاح الكتاب في عام ١٣٧٠هـ تقريباً ، أو قبله بقليل .
- واستمر الكتاب مفتوحاً حتى وفاتها عام ١٤٠٤هـ تقريباً ، ويقبل الكتاب الذكور حتى سن العاشرة فقط ، وتبلغ طالبات الكتاب ٩٠ طالباً وطالبة .

وقد عقب الخوجة صالحة (١١) ابناً وبناتاً ، (٧) أولاد ، و (٤) بنات وقد توي في أكثرهم في حياتها ، وقد أوصت بناتها بأن لا يرُدنَّ طالبة علم مهما كانت الظروف ، وما زلن يعملن بوصيتها .

وكان لها برنامج حافل في كتّابها ، حيث كانت تبدأ من الساعة صباحاً مفتتحة التدريس بالقرآن الكريم ، وفي وقت الضحى تبدأ معهن دروس الفقه والتوحيد ، ثم تصلي مع الطالبات صلاة الظهر جماعة ، وبعد الصلاة تلقي عليهن قرابة نصف ساعة محاضرة دينية ، كما تقوم بتطبيق دروس العبادات عملياً ، حيث تقف ابنتها أو إحدى الطالبات في الوسط ، وتقوم بتنفيذ ما تتطرق به الخوجة من كيفية الصلاة أو التشهد ، وبعدها تجتمع الطالبات على سفرة واحدة للغداء ، ثم يأخذن وقتاً للاستراحة ، أو طرح الأسئلة على الخوجة .

أمّا الكتابة فكانت اختيارية لمن كان يرغب أهلها في تعليمها إياها .

ثم تصلي العصر مع الطالبات جماعة ، ويبدأن في الانصراف .

وكان الكتّاب مجانياً سوى ما تأخذه من أجل الماء والكهرباء ، وتبلغ قيمته ربع ريال من كل طالبة في آخر كل أسبوع . فالعلم من وجهة نظرها لا يُباع .

ولم يقتصر دور الكُتَّاب على تعليم الفتيات ، بل إنها كانت تفرد وقتاً لتعليم الكبيرات قراءة القرآن وعلوم الدين .  
والجميل في الأمر ، أن النساء كن يرحلن إليها من جدة ، ومكة والطائف ليتلقين العلم عنها ، وكانت تفتح لهن بيتها ليقمن فيه وكأنه سكن داخلي مجاني - حتى ينتهين من تعلم ما يردن ، وقد مكثت إحداهن لديها سنة ونصف ، إلى أن حفظت على يدها القرآن الكريم بأكمله ، وتلقت دروساً في الفقه ، والتوحيد وكان اسمها زينب والدة محمد جان .

وممن تعلمن على يدها من النساء الكبيرات أم إسماعيل عالم ، ومحبوبة مهدي ، ومنهن من ظلت تتعلم عشر سنوات تقريباً .  
ومن طالباتها أيضاً بنات الشيخ حامد مرزا ، وبنات البرزنجي ، وبنات حسن نجيب ، وبنات الطيب ، وبنات المدني ، وخديجة رضوان وأخواتها وبناتها .

وكانت تساعدها في التدريس ابنتها أمامة صلاح الدين ، التي تعلمت على يد أمها ، ثم أكملت تعلمها للقرآن وأحكامه في مركز حماد الذي افتتحته الأستاذة الفاضلة سهيلة زين العابدين حماد ، ثم درّست في مدرسة (دار الرضوان) لتحفيظ القرآن الكريم . وهي ما تزال تسير على وصية والدتها في تعليم القرآن للراغبات ولو طلبنها في بيوتهن<sup>(١)</sup>

١٠ - كُتَّاب آي ملا : وتعني بالبخاري كبيرة المعلمات أو فقيهة ، وهي عابدة نظام الدين مخدوم ، زوجة الشيخ أمين الله مخدوم ، ويقع كُتَّابها في شارع أبي ذر بجوار مسجد البخاري ، في زقاق الدكتور سعيد . وافتتح الكُتَّاب في الخمسينات تقريباً ، وكانت تدرّس فيه البنين والبنات ، ويبلغ عدد الدارسين والدارسات ما بين ٥٠ - ٦٠ دارساً ودارسة .

(١) مشافهة ابنتها أمامة صلاح الدين شمس الدين بتاريخ الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ .

وكان برنامج الكُتّاب يبدأ للصغار من الثامنة صباحاً حتى بعد صلاة الظهر. ومن بعد العصر يبدأ تدريس الكبار حتى صلاة المغرب ، وكأنه فصل لمحو الأمية ، وكانت الملا تدرس الطالبات الهجاء على القاعدة البغدادية .

وقد درّست آي ملا القرآن ، واللغة العربية ، وعلوم الدين ، في بخارى على يد والدها الذي كان عالماً كبيراً في بلاده ، وبعد وفاة زوجها ، نذرت أن تجاور الحرم المدني الشريف ، وتفتح فيه كتّاباً لتعليم القرآن ، وقدمت معها أولادها الصغار وفتحت الكتّاب منذ قدومها في حوالي عام ١٣٦٥هـ ، ولها من الأولاد (٥) ، ومن البنات (٢) . وهم : كرامة الله ، وعناية الله ، وهديّة الله ، ونعمة الله ، وأمان الله .  
أما البنات فهما : حفيظة وعظيمة .

وقد استمر كتّابها مفتوحاً حتى وفاتها عام ١٤١٨هـ<sup>(١)</sup>

١١ - كتّاب زينب التكرونية في زقاق الحبس<sup>(٢)</sup>

١٢ - كتّاب أم بتول في حوش النورة<sup>(٣)</sup> . وهي والدة الفقيهة بتول الهوسة .

١٣ - كتّاب ناجية حجازي في زقاق الطيّار<sup>(٤)</sup>

كما كانت هناك أماكن خاصة لتعليم البنات فنون الخياطة والتطريز يذهب إليها الكثيرات ممن أتممن تعليمهن في الكتاتيب ، مثل :  
ملكة فضل إلهي في الشونة ، دارين ناصرية في المناخة ، وهي زوجة هاني هاشم ، هند موسية في التاجوري ، زوجة القارة ، رسمية حكيم في قباء<sup>(٥)</sup>  
وقد ذكرت المصادر كتّاب زهرة السنارية ، وفي الحقيقة أن اسمها ولقبها زهرة محمد إبراهيم فلاتة ، وفرق بين السناري ، والفلاتة .  
وهي زوجة الشيخ حسن تاج الدين ، وكان لديه كتّاب يدرس الأولاد في الصباح ، ويعطي دروساً في العصر في الحرم ، ويقع كتّاب زهرة فلاتة في زقاق البدور بجوار مدرسة العلوم الشرعية .

وقد تعلمت على يد الشيخة أمينة فلاتة ، وقد علمها زوجها الحديث فبرعت فيه ، وألّمت كتّاباً في الحديث ، كما كان يُرجع إليها لتصحيح رواية الحديث

(١) مشافهة ابنتها عظيمة ، الأحد : ١٤٢٢/١١/٢٠هـ .

(٢) مقابلة إحدى الدارسات حياة علوي ، بتاريخ الإثنين : ١٤٢٢/١١/٢٨هـ .

(٣) مشافهة صفية عمر أيوب ، الجمعة : ١٤٢٢/١١/٢٥هـ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) مقابلة نائلة سلامة ، الاثنين : ١٤٢٢/١١/٢٨هـ .

إذا اختلف الشيوخ في الرواية . وكانت تدرس طالباتها ابن عاشر ، وتجعلهن يحفظن متوناً منه .

وقد عَقَّبَت ابناً وبناتاًهما : عبد الكريم حسن تاج الدين - متقاعد - والابنة حليلة<sup>(١)</sup>

وممن درسن على يدها بنات الجزائري ، وبنات الدنديني ، وبنات عمران ، وبنات الباقي ، وبنات أبو خضير ، وبنات السيد محمود أحمد حبيب .

ومن طالباتها النجيبات : السيدة عائشة يوسف أحمد علي ، التي درست على يد الشيخة رقية بنت الشيخ خليل ، وأختها فاطمة ، نصف القرآن تقريباً حفظاً من الفاتحة إلى الكهف ، ثم درست من الكهف إلى البقرة نظراً عند الشيخة زهرة ، وكان عمرها (١٠) سنوات ، كما قرأت عندها ابن عاشر ، وعند الشيخة رقية بنت الشيخ خليل الموطأ ، وتقلت بين عددٍ من الكتاتيب ، وعملت عريفة عند الشيخة رقية ، وزهرة وكذلك عند بناية .

ولم تسمح لها ظروفها بفتح كتاب ، وإنما كانت تقوم بتدريس من حولها ومن حبها في العلم ، أنها دخلت محو الأمية وحصلت على جائزة تفوق .

ثم دخلت مدارس تحفيظ القرآن لتتعلم التجويد ، وبعد إتقانها له عملت قرابة ثمانية أشهر في مدرسة دار الإحسان لتحفيظ القرآن ، وهي حالياً تقوم بتعليم النساء في أوقات ذهابها إلى الحرم .

وهي على علم وخبرة بجميع الأشغال اليدوية ، والخياطة ، والتطريز وقامت بتعليمها للفتيات ، وهي ما تزال بفضل من الله على قيد الحياة .

وقد أجريت معها العديد من المقابلات التلفزيونية والإذاعية في المناسبات الوطنية<sup>(٢)</sup>

بداية التعليم الأهلي للبنات في المدينة المنورة

(١) مشافهة السيدة عائشة يوسف أحمد علي في الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢ هـ والجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ ، إحدى

الدارسات ، والعريفات .

(٢) المرجع السابق .



يطلق التعليم الأهلي على تلك المدارس التي تقوم بجهود الأهالي أفراداً أو جماعات ، أو تقوم بها مؤسسات غير حكومية ، رغبة في أداء نوع التعليم ، أو التثقيف ، أو الإعداد لمهنة ما<sup>(١)</sup> .

(١) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، محمد السلطان : ١٤٨ - ١٤٩ .

ولقد كان للتعليم الأهلي الحديث في المملكة - والذي سبق التعليم الحكومي في الظهور - الأثر البالغ في تشكيل رواد الثقافة السعودية المعاصرة فأثبت جدارته ، واستطاع أن يؤدي دوره ، فأولته الإدارة العامة للمعارف منذ إنشائها عام ١٣٤٤هـ عنايتها ، فصدر أول نظام للمدارس الأهلية بعد مضي سنة من إنشاء مديرية المعارف ، وجعل له ميزانية خاصة لدعمه وتشجيعه<sup>(١)</sup> .

ولقد تطور تعليم البنات الأهلي في عهد الملك عبد العزيز تطوراً ملحوظاً ؛ فإلى جانب وجود الكتاتيب التي زاد انتشارها ، واستمرت حتى افتتاح المدارس الحكومية ، كان هناك تطوير عملي للتعليم النسائي ، حيث مرّ التعليم الأهلي في عهده بمرحلتين :

#### ١) التعليم الأهلي شبه المنظم :

يخلط كثير من الباحثين بين نظام الكتاتيب ، وبين المدارس الأهلية شبه النظامية ، فتارة يذكرونها على أنها من الكتاتيب ، وتارة على أنها مدارس ، ولعل هذا الخلط ناتج من عدم تحديد مفهوم كل منهما .

فالكتاتيب سبق تعريفها على أنها المكان الذي تتلقى فيه الفتيات قراءة القرآن ، وبعض مبادئ القراءة والكتابة على الألواح ، بغرض ( فك الخط ) مع تعلم بعض العلوم الدينية . أمّا الكتابة والحساب فلا تلتزم به جميع الكتاتيب ، وإنما يختلف من كُتّاب لآخر ، ويرتبط أيضاً بحسب رغبة الأهالي .

وفي المراحل المتقدمة للكتاتيب ، أدخل في الحجاز في معظمها تعليم الأشغال اليدوية والتطريز .

وإذا اعتمدنا التعريف الذي يفرق بين الكُتّاب والمكتب ، بأن المكتب أكثر تطوراً من الكُتّاب في حجمه ومناهجه وعدد طالباته ، فيكون بذلك هو المرحلة السابقة للمدارس شبه النظامية ، ومنه تطورت ، كما يعطينا رحابة في تعريف المدارس الأهلية شبه المنظمة : فهي عبارة عن بعض الكتاتيب أو المكاتب التي طور نظام التعليم فيها ، وأدخلت تحت إشراف المديرية العامة التي كانت تمدّها بالمعونات العينية والمادية ، وأصبح التعليم فيها على السبورة وبالطباشير

(١) التعليم الأهلي في المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ - ١٤٠٨هـ دراسة تاريخية وصفية ، دخيل الله عبد الله الحيدري : ٣٥ .

بدلاً من اللوح الخشبي وأخذت بمناهج وزارة المعارف . غير أن نظامها الإداري والفني لم يكتمل .

(٢) أما المدارس الأهلية النظامية :

فهي تلك المدارس التي افتتحها الأهالي ، مع تنظيم مناهجها ، وتحديث موادها كدراسة بعض المواد الحديثة كالحساب والعلوم والمواد الأساسية الشرعية كالفقه والتوحيد والحديث ، والمواد اللغوية كالمطالعة والإملاء والخط ، إضافة إلى اكتمال جهازها الإداري والفني نوعاً ما ، من وجود مديرة ، وعدد من المدرسات .

ويبدو أن هذا التقسيم والتحديد فيه - أيضاً - نوع من الصعوبة ؛ لأن كثيراً من المدارس لم تصلنا معلومات كافية عن مناهجها ومراحل تعليمها ، وعن أجهزتها الفنية والإدارية ، ولكن حسبنا الاجتهاد في ذلك ، غير أن هذا التعريف يمكننا من التفريق بين الكتاتيب والمدارس .

كما يلاحظ أن هناك مدارس ، كانت في بدايتها شبه نظامية ثم تطورت وأصبحت مدارس نظامية مكتملة الآلة .

تذكر كثير من المصادر أن بالمدينة عدداً من المدارس الأهلية للبنات منها :

١ - المدرسة الفخرية: أسست عام ١٣٣٠هـ بزقاق الحبس ، ومؤسسها هي فخرية هانم .

٢ - مدرسة تهذيب الأخلاق : أسستها فخرية هانم في الشونة سنة ١٣٤٨هـ .

٣ - مدرسة فاطمة هانم : أسستها فاطمة هانم في الساحة سنة ١٣٥٠هـ .

٤ - مدرسة فاطمة التركية: أسستها فاطمة التركية بزقاق الحبس سنة ١٣٥٣هـ .

٥ - مدرسة الفوز والنجاح : أسستها زينب مغربية في العنبرية سنة ١٣٥٨هـ .

٦ - مدرسة المقاصد الإسلامية: أسستها الشريفة شرف علمية بدار جونة سنة ١٣٦٥هـ .

٧ - مدرسة الهداية الإسلامية : أسستها أم نعيم البخارية ، بباب المجيدي حوالي سنة ١٣٦٦هـ .

٨ - مدرسة بتول التكرورية<sup>(١)</sup>: أسستها أم بتول بحوش النورة حوالي سنة ١٣٦٦هـ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) في بعض المصادر التكرورية ، وأعتقد أنه هو اللقب الصحيح . وذلك حسب ما أدلت به - أيضاً - الكثيرات ممن شافهتهن الباحثة من نساء المدينة اللواتي عاصرن ، أو سمعن بالكتاب وصاحبتة .

(٢) فصول من تاريخ المدينة ، عثمان حافظ : ٢٤٣ .

وتذكر مصادر أخرى أن ما سبق هي كتاتيب ، ويظهر لي أن جميعها كانت كتاتيب في بداية الأمر ، وظلت كتاتيب الرائدات كما هي مثل كتاب فخرية هانم بزقاق الحبس وفخرية هانم بالشونة ، وكتاب فاطمة هانم في الساحة وفاطمة التركية بزقاق الساحة .

ولكن تؤكد المصادر الشفهية أن كتاب فخرية هانم في الشونة سنة ١٣٤٨هـ ، وكتاب فاطمة هانم الشامية في الساحة كانا يختلفان عن الكتاتيب الموجودة في ذلك الوقت ، من حيث منهجها ؛ إذ كانا يسيران وفق مناهج طلاب المدارس ، من حيث تدريس الحساب ، والخط ، والإملاء ، والإنشاء ، والفقه ، والتوحيد .

وذلك ما حدا ببعضهن إلى إطلاق اسم مكتب عليهما ، والمكتب في رأيهن أعلى مستوى من الكتاب ، وقد بينا ذلك سابقاً<sup>(١)</sup>

وعلى هذا فإن ما تحول من هذه الكتاتيب إلى مدارس شبه نظامية هي كتاتيب الجيل الثاني ، بعد مضي فترة على كونها كتاتيب : مثل : مدرسة الفوز والنجاح لمؤسستها زينب مغربية ، ومدرسة المقاصد الإسلامية : أسستها الشريفة شرف علمية ، حيث طورت هاتان المعلمتان من شأن كتاتيبهما ، وكانتا تأخذان معونات من الدولة عينية ومادية ، وسارتا على مناهج وزارة المعارف ، وتطور التعليم إلى الكتابة على السبورة ، وجلوس الطالبات على المقاعد الدراسية ، وتنوعت المناهج ، ولكن ما زال الجهاز الفني والإداري غير مكتمل وعند افتتاح الرئاسة دمجت هاتان المدرستان مع مدارس الرئاسة ، وكرّمت المعلمتان بقبولهما في العمل بمدارس البنات الرسمية .

٩ - غير أن هناك مدرسة لم أجدها في كثير من المصادر ، مع أنه يمكن عدها ثاني مدرسة أهلية شبه نظامية في المدينة المنورة ، وهي مدرسة التربوية الإسلامية التي افتتحت عام ١٣٧٩هـ ، قبل افتتاح المدارس الحكومية ، فهي لم تكن كتاباً حوّل إلى مدرسة كبقية المدارس المذكورة في المصادر .  
وصاحبة المدرسة هي المريبة الفاضلة سعاد أحمد سليمان المولودة في القاهرة سنة ١٩١٧هـ ، وقد حصلت على الشهادة الابتدائية من مصر ، سنة

(١) انظر ص ١٧٤- ١٧٩ من البحث .

١٩٣٢هـ وأكملت دراستها حتى السنة الأولى ثانوي ، ثم دخلت معهد الثقافة الشعبية بالقاهرة ، الشعبة النسوية وتخرجت منه .  
 ثم كتب لها الله الانتقال إلى المدينة المنورة مع زوجها السيد الفاضل محمد عبد المعطي بهجت ، الذي عُيِّن مديراً للزراعة بالمدينة المنورة في ذلك الوقت .  
 وقد سجلت السيدة سعاد في مذكراتها التي كتبتها بخط يدها ، نبذة عن التعليم في المدينة قبل افتتاح الرئاسة العامة ، وذكرت قصة افتتاح مدرستها قالت فيها : ( ... في المدينة المنورة منذ ٤٥ سنة تقريباً حين حضرت لها لم يكن فيها مدارس للبنات غير بعض الكتاتيب ، ففكرت أن هذه البلدة العظيمة التي فيها قبر خير الأنام ﷺ ، لا بد أن تتعلم البنات أمور دينهن وديناهن ، ونويت وتوكلت على الله أن أفتح مدرسة لتعليمهن وإرشادهن إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة ، وفي سنة ١٣٧٩هـ ، اخترت فكرة فتح مدرسة ابتدائية للبنات ، وفعلاً وفقني الله لذلك ، وكانت أول مدرسة للبنات في ذلك الوقت ، وأرسلت لوزارة المعارف بنيتي على ذلك ، ولم يكن في هذا الوقت يوجد رئاسة لتعليم البنات فوافقت وزارة المعارف ، وأرسلت لي بعض المناهج من كتب قواعد ، وحساب وهندسة ، ودين ، وغير ذلك ، وأضفت على هذا تعليم التدبير المنزلي .

وبحثت عن سكن للمدرسة ، وكان ذلك بعد محرم ، لأن استئجار المنازل كان من أول السنة ، وبعد جهد ، وجدت منزلاً قديماً كبيراً ذا حوش واسع لفسحة البنات ، وهو منزل (المفتي) في قباء الطالع ، وفكرت وبحثت عن اسم لهذه المدرسة التي كان كل أملي فيها تربية البنات تربية فاضلة ، فاخترت لها اسم (مدرسة التربية الإسلامية) وفي أول يوم من استئجاري للمنزل ، ذهبت بعدما أصلحت فيه بعض الإصلاحات ، وكتبت على سبورة أنه - اليوم - تم بحمد الله فتح هذه المدرسة ، فمن يرغب في الالتحاق بها ، فإني موجودة من الساعة ٧ صباحاً حتى الثانية ظهراً ، ولم أكد أضع السبورة أمام المنزل ، حتى تهافتوا علينا وكان الإقبال كثيراً جداً - بدون مبالغه - وصل العدد حوالي (١٥٠) فتاة مع أمهاتهن وفي اليوم الثاني ... وهكذا بلغ العدد أكثر من (٢٠٠) طالبة ، وكنت أمتحنهن فمن وجدته يليق بالسنة الأولى ، ومن في ثانية ، وهكذا ، وكانت في ذلك الوقت ماليتي

لا تسمح أن أشتري للمدرسة معدات من كراسي وخلافه وفرشت الأرض بالسجاجيد ، وكنا نجلس عليها ، وكنت أطلب من الطالبات أن يحضرن إليّ في الفسحة والإجازات للزيادة في العلم والمعرفة بدون مقابل ، طلباً في تعليمهن حتى إنه بعد سنتين من فتحي للمدرسة أخذن شهادة الابتدائية ، وكنّ من أوائل المتحנות في المملكة ، وكانت المصاريف في ذلك الوقت رمزية ، فجعلت للفقراء مجاناً ، وللروضة (٥) ريالاً وأولى وثانية (١٠) ريالاً ، وثالثة ورابعة (١٥) ريالاً ، وخامسة وسادسة (٢٠) ريالاً . أدعو الله أن يكتب ذلك في حسناتي والله المستعان .

وفي العام الثاني اشترت - باصاً - لنقل التلميذات اللاتي مساكنهن بعيدة عن المدرسة ، وكنت أذهب أنا لأحضر التلميذات في الباص ، وأشكر الله على ما يسره لي في خدمة بنات المدينة وقد حضر لنا الرئيس العام ، فأعجب بالمدرسة ، قال : إن هذه المدرسة فيها خير كثير . وفي العام الثاني ، استأجرت مدرسة في المشرفية عمارة ثلاثة أدوار ، وأحضرت مناظرة وكراسي للطالبات وكان فيها حوش كبير للفسحة ، وزادت الطالبات والحمد لله والشكر لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان بجوار المدرسة يسكن فضيلة الشيخ ابن باز ، وقد دخلت بناته المدرسة ، وكنّ من خير الطالبات - حفظهن الله ، ووفق الجميع - وكنت اشترط عند دخول الطالبات أن يلبسن زياً مخصوصاً ساتراً ، زياً إسلامياً - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والآن أصبح من طالباتي الموجهات ، والدكتورات والمدارس الناجحات - بإذن الله - ومديرات للمدارس ، وذلك لا للفخر ولكن لأن أشكر الله على ما وفقني الله - والله المستعان .

وفي الختام أرجو من بناتي أن يدعين لي بحسن الخاتمة ، وأن ألقى الله في هذه البقعة المباركة وأدفن في البقيع ، لأكون بجوار رسول الله ﷺ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعاد أحمد محمد سليمان<sup>(١)</sup>

---

(١) من كتابة خطية بيدها حصلت عليها منها بتاريخ ١٨/١١/١٤٢٢هـ ، مع وثائق شخصية لها ، كوثيقة الشهادة الابتدائية ، ووثيقة معهد الثقافة الشعبية بالقاهرة . إضافة إلى كثير من التعميمات والرسائل ، التي كانت تردها من الرئاسة العامة ، في بداية افتتاح المدرسة .



ومن مقابلة شخصية مع ذويها ، ومشافهتها شخصياً ، أفادت أن مدرسة شرف علمية ، وزينب مغربلية تزامنتا مع افتتاح مدرستها ، وقبل ذلك كانتا كتاتيب ، ولا يمكن أن نعدهما قبل تاريخ ١٣٧٩هـ مدارس . كما ذكرت أن شرف علمية قد أحضرت مُدرسة واحدة لمساعدتها هي : خيرية الزهاوي عراقية الأصل .

على أن أول مدرسة نظامية افتتحت قبلها هي مدرسة ( أمهات المؤمنين الأهلية ) عام ١٣٧٧هـ ، وقد قامت مجموعة من الأهالي ، ومن طلبة الجامعة الإسلامية بجمع التبرعات لفتح مدرسة للبنات ، فكانت هذه المدرسة ، وقد قام بتأسيسها يحيى عبد العزيز الأيوبي الذي أصبح مديراً لتعليم البنات بالمنطقة الغربية في ذلك الوقت ، وكانت أول مديرة لها حرمة الفاضلة عبيدة كمال الأيوبي .

وأضافت أن مدرستها كانت تتلقى معونة من الرئاسة العامة لمدارس البنات ، وكانت تأتيها التعاميم والتوجيهات منها ، إلى جانب زيارة المفتشات للمدرسة وتقييمهن لها - وقد أطلعتني على بعض تلك التعاميم - .  
ومن إضافاتها أيضاً : أن بناتها الأربع ( وفاء - سلوى - عفاف - نبيلة ) كن يساعدها في التدريس ؛ إذ كنَّ حاصلات على الشهادة الابتدائية ، وكانت كبراهن ( وفاء ) تبلغ من العمر (١٦) سنة ، وتشرف على الصف الثالث ، وتليها سلوى وتشرف على الصف الثاني ، وعفاف على الصف الأول ، أمّا صفراهن (نبيلة) فكانت تشرف على الروضة وتبلغ من العمر في ذلك الوقت (١٢) سنة . كما استعانت لفترة من الفترات بـ ( زكية ناظر ) ؛ لتدريس القرآن ، وكانت تشتهر مدرستها باسم ( مدرسة أم وفا ) .  
وبعد مرور سنتين على المدرسة اختارتها الرئاسة العامة لتدريس المواد الدينية في معهد إعداد المعلمات .

كما اختيرت عام ١٣٨٥هـ ؛ لتصحيح مادة الدين بالمعهد بالاشتراك مع الأستاذة سهام كياتي . واستمرت مدرسة ( التربية الإسلامية ) ما يقارب ٦ سنوات تقريباً ، ثم أغلقت . والمربية الفاضلة ما زالت على قيد الحياة -

متعها الله بالصحة والعافية - ولها من البنات أربع ، هنّ المذكورات سابقاً ، وقد أكملن تعليمهن الجامعي ما عدا كبراهن وفاء فقد حصلت على الثانوية فقط ، ولها من الذكور اثنان هما : محمد فداء الدين بهجت ، وهو أستاذ دكتور قسم إدارة واقتصاد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وهو الآن - متقاعد -

والابن الثاني : عبد الله عبد المعطي بهجت دكتور في الهندسة المدنية (إدارة وتخطيط موارد المياه) ، وقد حصل على تقاعد مبكر . وتفتخر أن من بين طالباتها في معهد إعداد المعلمات المتوسط الكاتبة الفاضلة سهيلة زين العابدين حماد ، والكاتبة الفاضلة نورة الخريجي ، ومن الدارسات في مدرستها بنات عويضة والدكتورة نجلاء كردي ، ومن أبرز طالباتها فوزية مهلهل . وعن الطالبات في ذلك الوقت تذكر أنهن كنّ في غاية الأدب والاحترام وعندهن توقير وحب للمعلمة<sup>(١)</sup>

١٠ - وهناك مدرسة لم تذكرها المصادر - أيضاً - وهي مدرسة بنات أبو عوف في الساحة ، وكان للمنزل الذي تقع فيه المدرسة بابان باب على الحماطة ، وباب على حوش الباشا .

وعائلة أبو عوف هذه من أصل سعودي ، قد تربت بناتها في الأردن وتعلمن بها ، وهنّ : زينب وزبيدة ، ورقية ، وخديجة .

وقد رغبت زينب وزبيدة في فتح مدرسة للبنات . فترقبت زبيدة زيارة الملك سعود للمدينة المنورة ، وقابلته في المناخة ، وطلبت منه الإذن بفتح المدرسة وقدمت له الشهادات الثبوتية ، فأذن لها ، تشجيعاً لتعليم المرأة . وتم فتح المدرسة وكان التعليم فيها صباحاً وبعد الظهر . وقد خُصص للطالبات لبس زي خاص .

وقد تزوجت زينب من الشيخ محمد عمر توفيق ، وتزوجت زبيدة باخشب<sup>(٢)</sup>

(١) تمت مشافهتها يوم الخميس : ١٧/١١/١٤٢٢ هـ . الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ .

(٢) مشافهة عائشة الوقيصي يوم الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢ هـ إحدى الدارسات بها في فترة ما بعد الظهر .

## الخاتمة

## النتائج والتوصيات

تعد الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة ، من أوسع الكتاتيب انتشاراً في المملكة ، وهي على قدر رفيع من التطور والرقى .

وقد دلّ انتشار هذه الكتاتيب في المدينة على أن أهالي المدينة كنّ على وعي تام بضرورة تعليم المرأة ، فهم لم يعارضوا تعليم المرأة القرآن ومبادئ الدين ، وما ينفعها في دينها ودنياها .

غير أن بعض الأهالي كانوا يمانعون في تعليم الفتاة الكتابة ومبادئ الحساب ، فهي في اعتقادهم من اختصاص الذكور ، وأعتقد أن هذه الفكرة ربما كانت أكثر شيوعاً في بداية نشأة الكتاتيب ، أما عندما طفقت الكتاتيب في التطور ، فإنها أخذت في الاندثار ، مما جعل الكتاتيب نواة لظهور المدارس الأهلية النسائية ، ثم المدارس الحكومية .

وقد ذكرت المربية الفاضلة / سعاد أحمد سليمان ، أنها بمجرد أن وضعت لوحة على باب مدرستها ، تعلن فيها افتتاح المدرسة وبدء التسجيل ، أقبل عليها الأهالي إقبالاً كبيراً ، حتى وصل عدد من سجلن في أول يوم (١٥٠) فتاة .

بلغ عدد الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة بحسب ما توصلت إليه الباحثة (٤٧) كتاباً ، توصلت الباحثة إلى (٢٨) منها عن طريق المقابلات ، ولم تذكرها المصادر من قبل .

كما قامت الباحثة بتصحيح بعض المعلومات عن خوجات الكتاتيب كانت قد أوردتها مصادر سابقة ، اعتماداً على ما توافر لديها من مصادر شفوية ، وكذلك استطاعت الباحثة عرض سيرة بعض رائدات الكتاتيب ممن حصلت على سيرتهن الذاتية ، عن طريق الخوجة نفسها إن كانت على قيد الحياة ، مثل الخوجة صفية عثمان حلمي ، أو بواسطة أبنائهن ، أو إحدى قريباتهن أو الدارسات لديهن .

إن من الكتاتيب النسائية بالمدينة المنورة ، من كان على قدر كبير من التطور ، وقوة العطاء العلمي ، مثل كتّاب فاطمة هانم التي لم تقتصر في

تدريسها على قراءة القرآن ، بل كانت تعلم الفتيات الكتابة والإملاء والخط ، والخطابة ، وقرض الشعر .

وكذلك كان كُتَّابُ الفقيهة زهرة محمد إبراهيم فلاته ، التي تذكرها المصادر باسم (زهرة السنارية) - وقد أشرت إلى خطأ هذا اللقب - ، وكانت عالمة في الحديث يرجع إليها عند الاختلاف في الرواية ، وقد كانت تدرِّس طالباتها ابن عاشر ، وتجعلن يحفظن متوناً منه ، وكذلك كانت الشيخة رقية بنت الشيخ خليل تدرِّس طالباتها من موطأ الإمام مالك .

هناك بعض الكتاتيب النسائية يدرس بها بعض الصبية الصغار .

انتشرت في المدينة كتاتيب تعلم الفتيات بجانب القرآن أشغال الإبرة والتطريز ، وأشغال الصوف ، كما كانت بعض الكتاتيب متخصصة في المهارات اليدوية ، تستقبل الطالبات بعد تخرجهن من الكتاتيب العلمية التي تحفظهن القرآن ومبادئ الكتابة .

إن معظم الخوجات والفقيهات في المدينة المنورة كن من جنسيات غير عربية ، مثل : الهند ، تركيا ، بخاري ، وهذه الشعوب تشتهر بإتقانها للمهارات اليدوية ، كذلك كانت بعض الخوجات من بلاد أفريقيا وخاصة الفلاته .

تذكر بعض المصادر الشفهية أنّ كُتَّابُ فخرية هانم في الشونة ، وكتاب فاطمة هانم الشامية في الساحة ، كانا يختلفان عن الكتاتيب الموجودة في ذلك الوقت من حيث منهجهما ، إذ كانا يسيران وفق مناهج طلاب المدارس ، من حيث تدريس الحساب والخط والإملاء والإنشاء والفقهِ ، والتوحيد ، وذلك ما حدا ببعض الدراسات إلى إطلاق اسم مكتب عليهما ، والمكتب في رأيهن أعلى مستوى من الكُتَّاب .

فتحت بعض الكتاتيب فصولاً لتدريس الكبيرات ، فكانت بمثابة مؤسسة لمحو الأمية .

ومن مظاهر تقدّم وتطور الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة أنه كانت بعض النسوة الكبيرات في السن يقدمن إليها من جدة ومكة والطائف ، وذلك مثل كتاب الصالحية ( الخوجة صالحة عمر عثمان فاضل مخدوم) بل إنها

كانت تفتح لهن دارها كسكن داخلي مجاني ، فأقام بعضهن لديها ما يقارب السنة والنصف حتى ختمن القرآن الكريم .  
لقد شجعت الحكومة السعودية خوجات الكتاتيب في المدينة ، وصرفت لهن مكافآت شهرية من أجل تحفيزهن على تطوير كتاتيبهن .  
كذلك كرّمت الحكومة رائدات الكتاتيب ، فسمحت لهن بالعمل في المدارس الحكومية عند افتتاحها .

أما بالنسبة للمدارس الأهلية للبنات في المدينة المنورة ، فيظهر أنه لم يكن في المدينة مدارس أهلية للبنات بمعنى المدرسة النظامي ، من وجود مراحل تعليمية متعددة ، ودراسة مواد حديثة ، كالحساب ، والمواد الأساسية الشرعية واللغوية ، وفق مناهج محددة ، ووجود إدارة من مديرة ومساعدات ، وعدد من المدرسات ، غير أن بعض الباحثين يطلقون تجاوزاً على الكتاتيب عموماً اسم مدرسة ، مثل كُتاب فخرية هانم ، وفاطمة هانم وفاطمة التركية ، فتارة يسمونها كتاتيب ، وتارة يسمونها مدارس .

ويبدو أنه بالإمكان إطلاق اسم كتاتيب على كتاتيب الرائدات السابقات ، أما ما قامت بافتتاحه الدارسات من الجيل الثاني من كتاتيب ، فإنه بالإمكان أن نطلق عليها مدارس شبه نظامية خاصة في مراحلها المتأخرة ، عندما أخذت تتلقى معونات من الحكومة السعودية ، متمثلة في معونات مادية وعينية من سبورات وطباشير ومقاعد دراسة ، مع انتظام مناهجها مع نظام إدارة التعليم للبنين ، وهذه المدارس هي :

- (١) مدرسة الفوز والنجاح .
- (٢) مدرسة المقاصد الإسلامية .
- (٣) مدرسة الهداية الإسلامية .
- (٤) مدرسة بتول التكرونية .

ولعل أول مدرسة بمعناها النظامي تقريباً هي مدرسة (أمهات المؤمنين الأهلية) لمؤسسها يحيى عبد العزيز الأيوبي ، ومديرتها عبيدة كمال الأيوبي ، وقد أسست سنة ١٣٧٧هـ ، غير أن هناك مدرسة لم أجدها في كثير من المصادر ، مع أنه يمكن عدّها ثاني مدرسة أهلية نظامية في المدينة المنورة ، وهي

مدرسة التربية الإسلامية التي افتتحت سنة ١٣٧٩هـ ، فهي لم تكن كتاباً حول إلى المدرسة ، كبقية المدارس المذكورة في المصادر ، ومثلها كانت سابقتها ، وصاحبة المدرسة هي المريية الفاضلة سعاد أحمد سليمان .

ونستطيع أن نستخلص من نظام طرق ومناهج الكتاتيب النسائية بالمدينة المنورة ، كثيراً من الدروس التربوية التي نحن بحاجة ماسة إليها اليوم ، ومن ذلك :

- كانت الكتاتيب النسائية ، تتبع نظام اليوم المتكامل الذي يسمح للطالبة بالمشكوث طوال اليوم في بيت الخوجة - بحسب الرغبة - تكتسب الخبرة والنظام والسلوك من معلمتها ، إضافة إلى أن احتكاك الطالبات ببعضهن كل ذلك الوقت يكسبهن المقدرة على العمل الجماعي ، ويعلمهن الجرأة على الاختلاط والتعامل مع الأقران .

- كانت طالبات بعض الكتاتيب ، يقمن بتسميع الجزء المقرر حفظه لبعضهن ، أو تسميعه لأنفسهن مراراً وتكراراً قبل عرضه على الخوجة ، وهذا ما يسمى لدينا اليوم ، بالتعليم الذاتي ، حيث يعتمد الطالب على قدراته ، ويعمل على تطويرها ذاتياً .

إن الاحتفالات الجماعية لختم القرآن الكريم ، كانت تحفز الطالبة على التعليم ؛ لما تشعر به من اهتمام ، وفرحة الأهالي والأصدقاء بنجاحها ، مما يدفعها للتقدم والعطاء . وطالبات اليوم ، بحاجة ماسة لمثل هذه الاحتفالات الهادفة ، التي هي بمثابة تطبيق عملي لما درسن ، ففيها تلقى القصائد ، والخطب ، والأناشيد ، التي تبجل العلم ، وتدعو إلى احترام المعلمة .

وفي آخر هذا البحث توصي الباحثة ، بضرورة تكثيف الجهود والتوسع في الدراسات العلمية في مجال تعليم المرأة عامة وفي المدينة المنورة خاصة ، فلا شك أن هناك كثيراً من الكتاتيب لم تتوصل إليها الباحثة . فالمدينة المنورة كانت مشهورة بحب أهلها للتعليم ، وإقبالهم عليه ، ففيها برز كثير من العلماء والشعراء والأدباء ، وفي ظل هذه النهضة العلمية لا بد أن يكون للمرأة نصيبها الذي لم تكشفه الدراسات بعد ، فقد اعتمد الدارسون على ما ذكر في المصادر التي سبقتهم ، وركنوا إلى ما فيها من معلومات ، فأخذ اللاحق عن السابق من غير تحديثٍ أو تطوير للمعلومة .

## المصادر والمراجع

- (١) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، ( د . ط ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ( د . ت ) .
- (٢) إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، إبراهيم فوزان الفوزان ، ط ١ ، ( د . ن ) ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠١ هـ .
- (٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ، الدولة السعودية الأولى ، منير العجلاني ، ط ٢ ، دار السبل للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٣ هـ .
- (٤) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر ، ط ١ ، ( د . ن ) ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ .
- (٥) تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، أحمد السباعي ، ط ٤ ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (٦) تطوير التعليم بالمملكة العربية السعودية ( التعليم الابتدائي ) ، حسن مصطفى الجوادي وآخرون ، ط ١ ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦ هـ .
- (٧) التعليم الأهلي في المدينة المنورة من ١٣٤٤ هـ إلى ١٤٠٨ هـ ، دراسة تاريخية وصفية ، دخيل الله عبد الله الحيدري ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ .
- (٨) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، محمد بن عبد الله السلطان ، ( د . ط ) ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (٩) التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢ هـ ( دراسة تاريخية وصفية تحليلية ) ناجي محمد حسن الأنصاري ، ط ١ ، دار المنارة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٤ هـ .

- (١٠) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ، محمد عبد الرحمن الشامخ ، ط١ (د . ن) ، الرياض ، ١٣٩٣هـ .
- (١١) تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ (د . ط) ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ .
- (١٢) الرحلة الحجازية ، محمد لبيب البتوني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥هـ .
- (١٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- (١٤) السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري ، ط٦ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥هـ .
- (١٥) صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ .
- (١٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٨هـ .
- (١٧) صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .
- (١٨) صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان ، ط١ ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٢٢هـ .
- (١٩) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، ط٢ ، دار العصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ .
- (٢٠) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس ، (د . ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- (٢١) فصول من تاريخ المدينة المنورة ، علي حافظ ، ط٣ ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧هـ .



- (٢٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف عبد الله بن دهيش ، ط٣ ، دار خضر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨ هـ .
- (٢٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، وبذيله التلخيص للذهبي (د . ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- (٢٤) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت باشا ، (د . ط) مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، (د . ت) .
- (٢٥) مسند الإمام أحمد ، (د . ط) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (د . ت) .
- (٢٦) نساء شهيرات من نجد ، دلال بنت مخلد الحربي ، (د . ط) ، دار الملك عبد العزيز ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .

الروايات الشفاهية ( سماعاً وكتابةً ومقابلة )

- ١- أمامة صلاح الدين شمس الدين : الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب).  
الدين
- ٢- أممة أحمد علمي : الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (دراسة وأختها صاحبة كتاب). .
- ٣- حياة علوي : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٤- زكية حسن عثمان فلاته : الأحد : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٥- زكية شاه : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٦- زكية محروس : الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٧- زينب حمزة عبد رب الرسول : الاثنين : ٢١ ، والثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٨- سعاد أحمد محمود سليمان : الخميس : ١٧/١١/١٤٢٢هـ (صاحبة مدرسة أهلية)
- ٩- سلوى طه محمود مغريل : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب). .
- ١٠- صفية عثمان حلمي : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ ، الجمعة : ٢٥/١١/١٤٢٢هـ  
(صاحبة كتاب) .
- ١١- صفية عمر أيوب : الجمعة : ٢٩/١٠/١٤٢٢هـ (صاحبة كتاب)
- ١٢- عائشة الوقيصي : الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٣- عائشة يوسف أحمد علي : الأحد : ٢٦/١٠/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٤- عظيمية أمين الله مخدوم : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب). .
- ١٥- عيشة سعيد : الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (خالتها صاحبة كتاب). .
- ١٦- عيشة نعمان : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة) .
- ١٧- مائدة نور الدين فهمي : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب)
- ١٨- مرضية نعمان : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٩- مريم حسن عثمان فلاته : الأحد : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٢٠- نائلة سلامة : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب). .
- ٢١- وفاء الطيب : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب). .